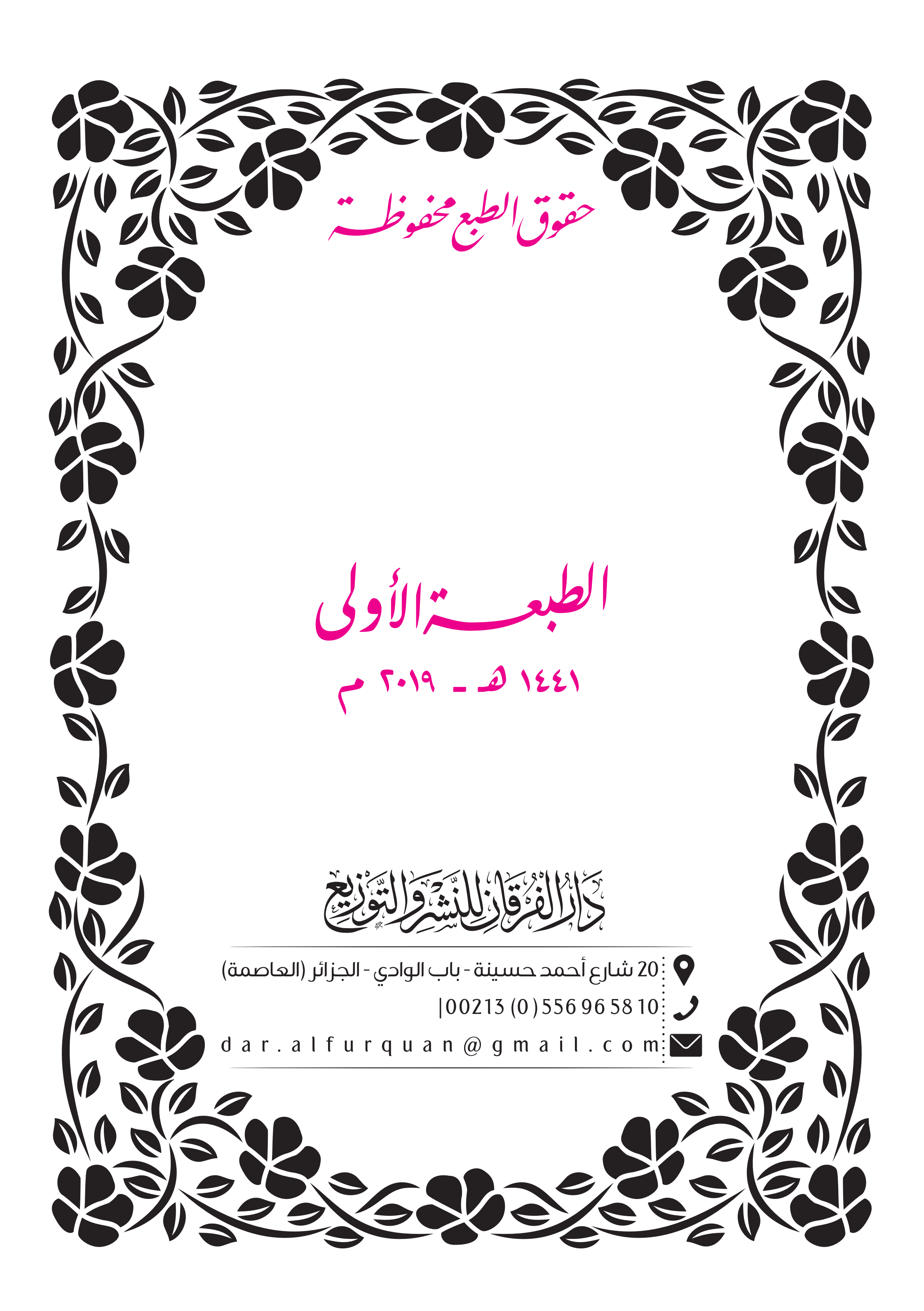


في رقائق



جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه
أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

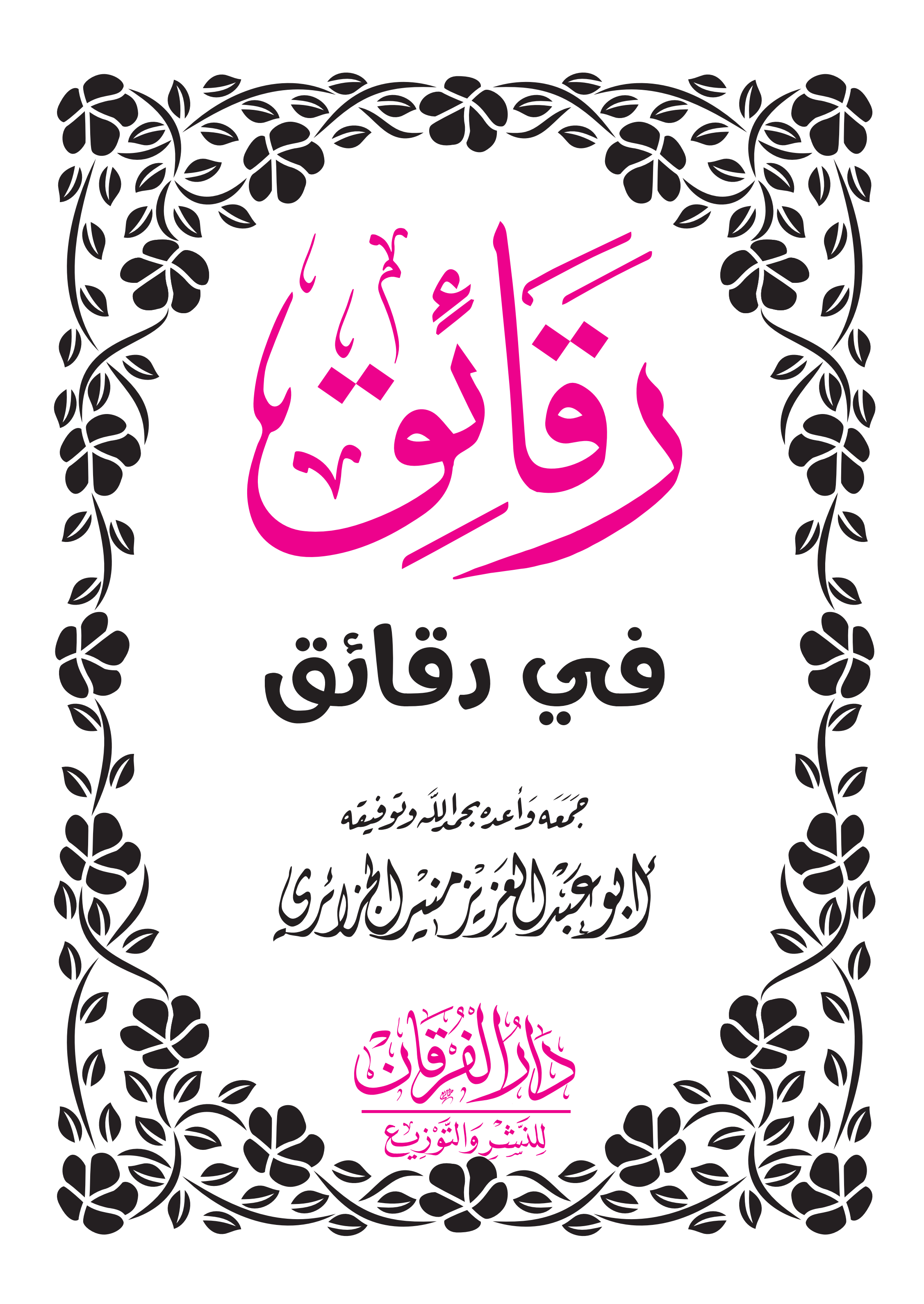
١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

20 شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)

|00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com



رقائق

في رقائق

جمعه وأعده بحمد الله وتوفيقه

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله الَّذِي أَيْقَظَ الغَافِلِين، وَنَفَعَ بِالتَّذْكِرَةِ المُؤْمِنِين، فَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِالدُّنْيَا وَحْدَهَا، بَلْ جَمَعُوا بَيْنَهَا وَالدِّين، وَعَرَفُوا مَا لِرَبِّهِمْ مِنَ الحَقِّ، فَقَامُوا بِهِ قِيَامَ الصَّادِقِين، أَحْمَدُهُ حَمْدَ الحَامِدِين، وَأَشْكُرُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، فَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ المُعِين، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله المَلِكُ الحَقُّ المُبِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ المُصْطَفَى الأَمِين، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَبَعْد:

إِخْوَانِي فِي الله ... إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

اعْلَمُوا رَحِمَكُمْ الله «أَنَّ أَشْرَفَ مَا فِي الإِنْسَانِ قَلْبُه، فَإِنَّهُ العَالِمُ بِالله، العَامِلُ لَهُ، السَّاعِي إِلَيْهِ.. وَإِنَّمَا الجَوَارِحُ أَتْبَاعٌ وَخُدَّامٌ لَهُ يَسْتَخْدِمُهَا القَلْبُ اسْتِخْدَامَ المُلُوكِ لِلْعَبِيدِ...وَأَكْثَرُ النَّاسِ جَاهِلُونَ بِقُلُوبِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ، وَالله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَحَيْلُولَتُهُ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، فَمَعْرِفَةُ القَلْبِ وَصِفَاتِهِ أَصْلُ الدِّين، وَأَسَاسُ طَرِيقِ السَّالِكِين»[١].

وَلِهَذَا جَاءَتْ النُّصُوصُ العَدِيدَة، وَالأَدِلَّةُ الكَثِيرَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ فَقَدْ جَعَلَ الله ﷻ القَلْبَ السَّلِيم هُوَ مَا يَنْفَعُ العَبْدَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيم، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ].

---

[١] «مُخْتَصَر مِنْهَاج القَاصِدِين» (ص١٤٨).

وَبيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ المُضْغَة فَقَالَ: « **أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ** »[١].

وَلَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ الله يَحْرِصُونَ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى صِحَّةِ القَلْبِ وَسَلاَمَتِهِ وَرِقَّتِهِ، وَيَبْتَعِدُونَ كُلَّ البُعْدِ عَنْ أَسْبَابِ مَرَضِهِ وَقَسْوَتِهِ..

فَهَذَا مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَان رَحِمَهُ اللهُ يَذْهَبُ إِلَى الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَيَقُولُ لَهُ: «**يَا أَبَا سَعِيدٍ قَدْ آنَسْتُ مِنْ قَلْبِي غِلْظَةً فَاسْتَلِنْ لِي**»[٢].

«**وَأَتَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ بِي دَاءٌ مِنْ أَعْظَمِ الدَّاءِ، فَهَلْ عِنْدَكِ لَهُ دَوَاء؟**

قَالَتْ: وَمَا ذَاك؟

قَالَ: إِنِّي أَجِدُ قَسْوَةً فِي القَلْب.

فَقَالَتْ: أَعْظَمُ الدَّاءِ دَاؤُك؛ عُدْ المَرْضَى، وَاتَّبِعْ الجَنَائِزَ، وَاطَّلِعْ فِي القُبُور، لَعَلَّ الله أَنْ يُلَيِّنَ قَلْبَكَ.

قَالَ: فَفَعَلَ الرَّجُلُ، فَكَأَنَّهُ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِقَّةً، فَجَاءَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاء يَشْكُرُ لَهَا»[٣].

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:«رَأَيْتُ الاشْتِغَالَ بِالفِقْهِ وَسَمَاعِ الحَدِيثِ لَا يَكَادُ يَكْفِي فِي صَلَاحِ القَلْبِ، **إِلَّا أَنْ يُمْزَجَ بِالرَّقَائِقِ** وَالنَّظَرِ فِي سِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِين»[٤].

فَتَأَمَّلُوا إِخْوَانِي فِي الله كَيْفَ يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا الكَلَام لِمَنْ اشْتَغَلَ بِالعِلْمِ الشَّرْعِي الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ القُرُبَات، فَكَيْفَ بِمَنْ شَغَلَ وَقْتَهُ فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاه؟

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٢)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٥٩٩).

[٢] «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٤/ ٨٣).

[٣] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي «الزُّهْد» (٢٠٧).

[٤] «صَيْدُ الخَاطِر» (ص١٥٤).

فَضْلًا عَمَّنْ قَضَى أَوْقَاتَهُ فِي اتِّبَاعِ هَوَاه وَمَعْصِيَةِ رَبِّهِ وَمَوْلَاه، وَاللهُ الْمُسْتَعَان؛ فَنَحْنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى مَا يُرَقِّقُ قُلُوبَنَا وَيَرْبِطُنَا بِخَالِقِنَا.

وَمِنْ فِقْهِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ جَعَلَ فِي «صَحِيحِه» (كِتَاب الرِّقَاق).

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ مُغَلْطَاي: عَبَّرَ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَاء فِي كُتُبِهِمْ بِالرَّقَائِق، قُلْتُ: مِنْهُمْ ابْنُ المُبَارَك وَالنَّسَائِي فِي «الكُبْرَى» وَرِوَايَتُهُ كَذَلِك فِي نُسْخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ مِنْ رِوَايَةِ النَّسْفِي عَنِ البُخَارِي، وَالمَعْنَى وَاحِد، وَالرِّقَاقُ وَالرَّقَائِقُ جَمْعُ رَقِيقَة وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الأَحَادِيثُ بِذَلِكَ لِأَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهَا مَا يُحْدِثُ فِي القَلْبِ رِقَّةً»[١].

وَمِنْ بَابِ التَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَالسَّعْيِ فِي نَشْرِ الخَيْرِ بَيْنَ المُسْلِمِين حَرَصْتُ عَلَى إِخْرَاجِ هَذِهِ الوُرَيْقَاتِ المُتَوَاضِعَات الَّتِي تُقْرَأُ المَوْعِظَةُ الوَاحِدَةُ مِنْهَا فِي دَقَائِقَ مَعْدُودَات، عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات.

هَذَا؛ وَاللهَ الكَرِيمَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذَا الجُهْد، وَأَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصًا وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُطَابِقًا، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَيْرُ مَسْؤُول، وَهُوَ أَهْلُ الرَّجَاءِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيل.

مُحِبُّكُم فِي الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr

[١] «فَتْحُ البَارِي» (١١/ ٢٢٩).



المَجْمُوعَةُ الأُولَى

١/ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾.

٢/ كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظًا.

٣/ مَوْعِظَةٌ مُخْتَصَرَة مِنْ كِتَابِ «التَّذْكِرَة».

٤/ مَاذَا بَعْدَ فَقْدِ الأَحِبَّة؟

٥/ الزِّلْزَال دُرُوسٌ وَعِبَر.

٦/ أَسْبَاب رَفْعِ عُقُوبَةِ الذُّنُوب.

٧/ مَاذَا تَعرِفُ عَنْ فِتْنَةِ المَسِيح الدَّجَّال؟


﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ المُكَلَّفِينَ لِيَعْبُدُوه، وَأَدَرَّ عَلَيْهِمْ الأَرْزَاقَ لِيَشْكُرُوه، وَوَضَّحَ لَهُمْ الأَدِلَّةَ وَالبَرَاهِينَ لِيَعْرِفُوه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَى العِبَادِ أَنْ يُوَحِّدُوه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي فَاقَ الرُّسُلَ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوه، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ جَمِيعِ الَّذِينَ اتَّبَعُوه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله ..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله:

إِنَّ العِلْمَ بِالله أَشْرَفُ العُلُوم، وَأَفْضَلُ الفُهُوم، وَهُوَ أَجَلُّهَا عَلَى الإِطْلَاق، وَأَنْفَعُهَا بِاتِّفَاق، وَهُوَ عِلْمٌ مُبَارَك، كَثِيرُ العَوَائِد، غَزِيرُ الفَوَائِد، وَمُتَنَوِّعُ الثِّمَار وَالآثَار.

يُـورِثُ تَعْظِيمَ عَـلَّامِ الغُيُوب فِي القُلُوب، فَتُثْمِرُ شَجَرَةُ الإِيمَانِ اسْتِسْلَامًا وَإِسْلَامًا، إِيقَانًا وَإِحْسَانًا.

فَالاشْتِغَالُ بِطَلَبِهِ وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاه، إِشْتِغَالٌ بِأَعْلَى المَطَالِب، وَحُصُولُهُ وَتَحْصِيلُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ أَشْرَفِ المَوَاهِب، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الله تَعَالَى تَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَإِخْلَاصِ العَمَلِ لَه، وَهَذَا عَيْنُ سَعَادَةِ العَبْد؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الله، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي فَهْمِ مَعَانِيهَا، وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ الكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَب رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِيهَا مَعْرِفَةُ الله

وَعَظَمَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَخَشْيَتُهُ وَمَهَابَتُهُ وَرَجَاؤُهُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَيَمْتَلِئُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ حَتَّى يَكُونَ إِلَهُهَا الَّذِي تَأْلَهُهُ وَتَعْرِفُهُ وَتُحِبُّهُ وَتَخْشَاهُ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَوْ كَانَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَهٌ يُؤْلَهُ سِوَى اللهِ لَفَسَدَتْ بِذَلِكَ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ]»[١].

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ].

«مَنِ الَّذِي أَوْجَدَنَا مِنَ العَدَمِ؟ وَغَمَرَنَا بِسَوَابِغِ النِّعَمِ؟ مَنْ الَّذِي صَرَفَ عَنَّا المَكَارِهَ وَالمَضَارَّ وَالنِّقَمِ؟

مَنْ الَّذِي أَعْطَانَا العُقُولَ وَالأَسْمَاعَ وَالأَبْصَارَ؟ مَنْ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؟

مَنْ الَّذِي فَلَقَ الحَبَّ عَنْ الزُّرُوعِ وَعَنْ الأَشْجَارِ وَعَنْ النَّوَى؟ مَنْ الَّذِي أَحْيَا الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا مِنْ غَيْثِ السَّمَاءِ؟ مَنْ الَّذِي يُصَوِّرُنَا فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ؟

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

مَنْ الَّذِي أَمْسَكَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ عَنِ الزَّوَالِ؟ مَنْ الَّذِي أَحْكَمَ خَلْقَهُمَا وَأَحْسَنَ نِظَامَهُمَا فَلَا يُرَى فِيهِمَا خَلَلٌ وَلَا إِخْلَالٌ؟

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ

[١] «جَامِعُ العُلُومِ وَالحِكَمِ» (ص ٧٥).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ].

مَنْ الَّذِي فَجَّرَ الأَرْضَ بِالأَنْهَارِ وَالعُيُون، وَأَخْرَجَ الثِّمَارَ اللَّذِيذَةَ وَالفَوَاكِهَ الشَّهِيَّةَ مِنْ يَابِسِ الغُصُونِ؟ أَمَا ذَلِكَ إِبْدَاعُ مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُون؟

مَنْ الَّذِي خَلَقَ المَخْلُوقَاتِ فَعَدَّلَهَا وَأَحْسَنَهَا وَسَوَّى، وَقَدَّرَ أَقْدَارًا وَإِلَيْهَا وَجَّهَ أَهْلَهَا وَهَدَى؟

مَنْ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَبَنَاهَا؟ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ]»[١].

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد، فَوْقَ كُلِّ شَيْء، وَمَعَ كُلِّ شَيْء، وَقَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْء، وَمُقِيمٌ لِكُلِّ شَيْء، آمِرٌ نَاه، مُتَكَلِّمٌ بِكَلِمَاتِهِ الدِّينِيَّة وَالكَوْنِيَّة، أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْء، وَأَجْمَلُ مِنْ كُلِّ شَيْء، أَرْحَمُ الرَّاحِمِين، وَأَقْدَرُ القَادِرِين، وَأَحْكَمُ الحَاكِمِين»[٢] وَأَجْوَدُ الأَجْوَدِين، وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِين.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ].

---

[١] «الفَوَاكِهُ الشَّهِيَّة فِي الخُطَبِ المِنْبَرِيَّة» (ص٢٠٧) بِتَصَرُّفٍ يَسِير.

[٢] «الفَوَائِدُ» (ص١٨٠).

«وَهُوَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) يُعْطِي عَبْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ وَفَوْقَ مَا يُؤَمِّلُهُ، يَشْكُرُ عَلَى القَلِيل مِنَ العَمَلِ وَيُنَمِّيه، وَيَغْفِرُ الكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ وَيَمْحُوه: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ٢٩﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ] لَا يَشْغُلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْع، وَلَا تُغْلِطُهُ كَثْرَةُ المَسَائِل، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ المُلِحِّين؛ بَلْ يُحِبُّ المُلِحِّينَ فِي الدُّعَاء، وَيُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَيَغْضَبُ إِذَا لَمْ يُسْأَل، فَيَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ حَيْث لَا يَسْتَحْيِي العَبْدُ مِنْهُ، وَيَسْتُرُهُ حَيْثُ لَا يَسْتُرُ نَفْسَهُ، وَيَرْحَمُهُ حَيْثُ لَا يَرْحَمُ نَفْسَهُ، دَعَاهُ بِنِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِه، وَنَادَاهُ إِلَى كَرَامَتِهِ وَرِضْوَانِهِ..

وَكَيْفَ لَا تُحِبُّ القُلُوبُ مَنْ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا هُو؟ وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا هُو؟! وَلَا يُجِيبُ الدَّعَوَات، وَيُقِيلُ العَثَرَات، وَيَغْفِرُ الخَطِيئَات، وَيَسْتُرُ العَوْرَات، وَيَكْشِفُ الكُرُبَات، وَيُغِيثُ اللَّهَفَات، وَيُنِيلُ الطَّلَبَات سِوَاه؟!

فَهُوَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِر، وَأَحَقُّ مَنْ شُكِر، وَأَحَقُّ مَنْ حُمِد، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِد، وَأَنْصَرُ مَنْ ابْتُغِي، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَك، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِل، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى، وَأَرْحَمُ مَنْ اسْتُرْحِم، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِد، وَأَعَزُّ مَنْ الْتُجِئَ إِلَيْهِ وَأَكْفَى مَنْ تُوُكِّلَ عَلَيْه، أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَأَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ مِنَ الفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ، الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فِي الأَرْضِ المُهْلِكَةِ إِذَا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ فَوَجَدَهَا، وَهُوَ المَلِكُ فَلَا شَرِيكَ لَه وَالفَرْدُ فَلَا نِدَّ لَه، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [سُورَةُ القَصَصِ :٨٨]، لَنْ يُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِه، وَلَنْ يُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِه، يُطَاعُ فَيَشْكُر.. وَيُعْصَى فَيَغْفِر.. فَهُوَ أَقْرَبُ شَهِيد، وَأَدْنَى حَفِيظ، وَأَوْفَى بِالعَهْد، وَأَعْدَلُ قَائِمٍ بِالقِسْط، حَالَ دُونَ النُّفُوس، وَأَخَذَ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبَ الآثَار، وَنَسَخَ الآجَال، فَالقُلُوبُ لَهُ مُفْضِيَة،

وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَة، وَالعَلَانِيَّةُ وَالغَيْبُ لَدَيْهِ مَكْشُوف، وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مَلْهُوف، وَعَنَتْ الوُجُوهُ لِنُورِ وَجْهِه، وَعَجَزَتْ القُلُوبُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِه، وَدَلَّتْ الفِطَرُ وَالأَدِلَّةُ كُلُّهَا عَلَى امْتِنَاعِ مِثْلِهِ وَشِبْهِه، أَشْرَقَتْ لِنُورِ وَجْهِهِ الظُّلُمَات، وَاسْتَنَارَتْ لَهُ الأَرْض وَالسَّموَات، وَصَلُحَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ المَخْلُوقَات، لَا يَنَام وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَام، يَحْفَظُ القِسْطَ وَيَرْفَعُه، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَار، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْل، حِجَابُهُ النُّور لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ..»[١].

قَالَ الله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ].

«لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا شَبِيهَ لَه، وَلَا نَظِيرَ لَه، وَلَا وَلَدَ لَه، وَلَا وَالِدَ لَه، وَلَا صَاحِبَةَ لَه، وَلَا شَرِيكَ لَه، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاء، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاء؛ لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الوَاصِفُون، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ المُتَفَكِّرُون»[٢] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سُورَةُ الشُّورَى]، وَهُوَ سُبْحَانَهُ اللَّطِيفُ الخَبِير، العَلِيمُ القَدِير، السَّمِيعُ البَصِير، العَلِيُّ الكَبِير، الرَّحْمَنُ الرَّحِيم، القَوِيُّ العَظِيم، العَزِيزُ الحَكِيم، الغَفُورُ الحَلِيم، الحَمِيدُ الكَرِيم، العَفُوُّ التَّوَاب، الغَنِيُّ الوَهَّاب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

«رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا الَّذِي كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، الَّذِي غَلَبَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ كَمَا كَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَلَى عَرْشِهِ فِي الْكِتَابِ

---

[١] «الفَوَائِدُ» (ص١٦٦).

[٢] «رِسَالَةُ الإِمَام ابْنِ أَبِي زَيْد القَيْرَوَانِي» (ص٩)

الْمُبِينِ... الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِعْـزَازِ وَالْإِذْلَالِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ... الْقُدُّوسُ الَّذِي اتَّصَفَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَتَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَمُحَالٍ، وَتَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ... السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَا كَسَمْعٍ وَلَا بَصَرِ أَحَدٍ مِنَ الْوَرَى، الْقَائِلُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سُورَةُ طه]... الْغَفُورُ الشَّكُورُ الَّذِي يَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، وَيَقْبَلُ الْيَسِيرَ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ، فَيُضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَيُثِيبُ عَلَيْهِ الثَّوَابَ الْجَلَلَ»[١].

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ].

إِنَّهُ اللهُ ﷻ: «مَا ذُكِرَ فِي قَلِيلٍ إِلَّا كَثَّرَه، وَلَا عِنْدَ خَوْفٍ إِلَّا أَزَالَه، وَلَا عِنْدَ كَرْبٍ إِلَّا كَشَفَه، وَلَا عِنْدَ هَمٍّ وَغَمٍّ إِلَّا فَرَّجَه، وَلَا عِنْدَ ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَه، وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ ضَعِيفٌ إِلَّا أَفَادَهُ القُوَّة، وَلَا ذَلِيلٌ إِلَّا أَنَالَهُ العِزّ، وَلَا فَقِيرٌ إِلَّا أَصَارَهُ غَنِيًّا، وَلَا مُسْتَوْحِشٌ إِلَّا آنَسَه، وَلَا مَغْلُوبٌ إِلَّا أَيَّدَه وَنَصَرَه، وَلَا مُضْطَرٌّ إِلَّا كَشَفَ ضُرَّه، وَلَا شَرِيدٌ إِلَّا آوَاه.

فَهُوَ الاسْمُ الَّذِي تُكْشَفُ به الكُرُبَات، وَتُسْتَنْزَلُ بِهِ البَرَكَات، وَتُجَابُ بِهِ الدَّعَوَات، وَتُقَالُ بِهِ العَثَرَات، وَتُسْتَدْفَعُ بِهِ السَّيِّئَات، وَتُسْتَجْلَبُ بِهِ الحَسَنَات.

وَهُوَ الاسْمُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَات وَالأَرْض، وَبِهِ أُنْزِلَتْ الكُتُب، وَبِهِ أُرْسِلَتْ الرُّسُل، وَبِهِ شُرِعَتْ الشَّرَائِع، وَبِهِ قَامَتْ الحُدُود، وَبِهِ شُرِعَ الجِهَاد، وَبِهِ انْقَسَمَتْ الخَلِيقَةُ إِلَى السُّعَدَاء وَالأَشْقِيَاء، وَبِهِ حَقَّتْ الحَاقَّة، وَوَقَعَتْ الوَاقِعَة، وَبِهِ وُضِعَتْ

[١] «مَعَارِجُ القَبُول» (ص٩).

المَوَازِين القِسْط وَنُصِبَ الصِّرَاط، وَقَامَ سُوقُ الجَنَّة وَالنَّار، وَبِهِ عُبِدَ رَبُّ العَالَمِين وَحُمِدَ، وَبِحَقِّه بُعِثَتْ الرُّسُل، وَعَنْهُ السُّؤَالُ فِي القَبْرِ وَيَوْم البَعْثِ وَالنُّشُور، وَبِهِ الخِصَامُ وَإِلَيْهِ المُحَاكَمَة، وَفِيه المُوَالَاة وَالمُعَادَاة، وَبِهِ سَعِدَ مَنْ عَرَفَهُ وَقَامَ بِحَقِّهِ، وَبِهِ شَقِيَ مَنْ جَهِلَهُ وَتَرَكَ حَقَّهُ، فَهُوَ سِرُّ الخَلْقِ وَالأَمْرِ، وَبِهِ قَامَا وَإِلَيْهِ انْتَهَيَا.

فَالخَلْقُ بِهِ وَإِلَيْهِ، وَلِأَجْلِهِ، فَمَا وُجِدَ خَلْقٌ وَلَا أَمْرٌ، وَلَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ إِلَّا مُبْتَدِيًا مِنْهُ مُنْتَهِيًا إِلَيْهِ، وَذَلِكَ مُوجِبُهُ وَمُقْتَضَاه»[١].

قَالَ الله ﷻ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢﴾ [سُورَةُ يُونُسَ].

«فَمَا شَاءَ كَانَ كَمَا شَاءَ فِي الوَقْتِ الَّذِي يَشَاء عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَشَاء مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَان وَلَا تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ، وَأَمْرُهُ وَسُلْطَانُهُ نَافِذٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَقْطَارِهَا، وَفِي الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهَا وَمَا تَحْتَهَا، وَفِي البِحَارِ وَالجَوِّ وَفِي سَائِرِ أَجْزَاءِ العَالَمِ وَذَرَّاتِهِ يُقَلِّبُهَا وَيُصَرِّفُهَا وَيُحْدِثُ فِيهَا مَا يَشَاء، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَحِكْمَةً، وَوَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَات فَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْه؛ بَلْ يَسْمَعُ ضَجِيجَهَا بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا عَلَى كَثْرَةِ حَاجَاتِهَا، لَا يَشْغُلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْع، وَلَا تُغْلِطُهُ كَثْرَةُ المَسَائِلِ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ ذَوِي الحَاجَات، وَأَحَاطَ بَصَرُهُ بِجَمِيعِ المَرْئِيَّات: فَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاء عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاء فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاء، فَالغَيْبُ عِنْدَهُ شَهَادَة، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَة، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ، فَالسِّرُّ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرُ العَبْدِ وَخَطَرَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ تَتَحَرَّكْ بِهِ شَفَتَاه، وَأَخْفَى

---

[١] «تَيْسِيرُ العَزِيزِ الحَمِيد» (ص١٤).

مِنه مَا لَمْ يَخْطُرْ بَعْدُ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَخْطُرُ بِقَلْبِهِ كَذَا وَكَذَا فِي وَقْتِ كَذَا وَكَذَا، لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْر، وَلَهُ المُلْكُ وَالحَمْد، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَلَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَن، لَهُ المُلْكُ كُلُّهُ، وَلَهُ الحَمْدُ كُلُّه، وَبِيَدِهِ الخَيْرُ كُلُّه، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّه، شَمَلَتْ قُدْرَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَوَسِعَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى كُلِّ حَيٍّ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ٢٩﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ]، يَغْفِرُ ذَنْبًا وَيُفَرِّجُ هَمًّا وَيَكْشِفُ كَرْبًا وَيَجْبُرُ كَسِيرًا وَيُغْنِي فَقِيرًا وَيُعَلِّمُ جَاهِلًا وَيَهْدِي ضَالًّا وَيُرْشِدُ حَيْرَانًا وَيُغِيثُ لَهْفَانًا وَيَفُكُّ عَانِيًا وَيُشْبِعُ جَائِعًا وَيَكْسُو عَارِيًا وَيَشْفِي مَرِيضًا وَيُعَافِي مُبْتَلًى وَيَقْبَلُ تَائِبًا وَيَجْزِي مُحْسِنًا وَيَنْصُرُ مَظْلُومًا وَيَقْصِمُ جَبَّارًا وَيُقِيلُ عَثْرَةً وَيَسْتُرُ عَوْرَةً وَيُؤَمِّنُ رَوْعَةً وَيَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَضَعُ آخَرِين ..»[١].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبلُغُوا نَفْعِي فَتَنفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ

[١] «الوَابِلُ الصَّيِّب» (ص١٢٧).

أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وجَدَ خَيْراً، فَلْيَحْمَدِ الله، وَمَنْ وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَه»[١].

وَرَحِمَ الله مَنْ قَالَ:«خَرَجَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذُوقُوا أَطْيَبَ شيْءٍ فِيهَا، قِيلَ: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ الله تَعَالَى»[٢].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ «لَا يَلْقَى وَصَايَاهُ إِلَّا الصَّابِرُون، وَلَا يَفُوزُ بِعَطَايَاهُ إِلَّا الشَّاكِرُون، وَلَا يَهْلَكُ عَلَيْهِ إِلَّا الهَالِكُون، وَلَا يَشْقَى بِعَذَابِهِ إِلَّا المُتَمَرِّدُون، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[سُورَةُ فَاطِرٍ].

.. وَبُشْرَاكَ أَيُّهَا التَّائِبُ بِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُور، مَنْ عَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ تَنوَّعَ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ تَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ مَغْفِرَتِه، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبقَتْ غَضَبَهُ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ رَحْمَتِه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ].

مَنْ تَعَلَّقَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ أَخَذَتْهُ بِيَدِهِ حَتَّى تُدْخِلَهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَارَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصَلَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَحَبَّهُ أَحَبَّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَكَانَتْ آثَرَ شَيْءٍ لَدَيْهِ حَيَاةُ القُلُوبِ فِي مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَكَمَالُ الجَوَارِحِ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ وَالقِيَامِ

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧).
[٢] «سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٥/ ٣٦٣).

بِخِدْمَتِهِ، وَالأَلْسِنَةِ بِذِكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَوْصَافِ مِدْحَتِهِ »[١].

فَبَعْدَ هَذَا البَيَانِ المُخْتَصَر.. الَّذِي يَلِينُ لَهُ القَلْبُ وَلَوْ كَانَ فِي القَسْوَةِ كَالحَجَر، هَلْ تَتَّجِهُ القُلُوب لِغَيْرِ عَلَّامِ الغُيُوب؟

وَهَلْ يُؤَمَّلُ نَيْلُ الأَرْزَاق مِنْ غَيْرِ الوَاحِدِ الخَلَّاق؟ وَهِبَةُ الذُّرِّيَّة مِنْ غَيْرِ رَبِّ البَرِيَّة؟

إِنَّ أَقْوَامًا جَهِلُوا العِلْمَ بِالله وَتَّعْظِيمِهِ سُبْحَانَهُ، فَتَوَجَّهُوا بِالدَّعَوَات وَالقُرُبَات إِلَى غَيْرِ رَبِّ البَرِيَّات؛ بَلْ إِلَى مَخْلُوقَات.

فَعَظَّمُوا الأَشْجَار وَالأَحْجَار، وَتَوَجَّهُوا إِلَى قُبُورِ الصَّالِحِين، كَيْفَ لَوْ رَأَيْتَهُمْ وَقَدْ وَقَفُوا عَلَى أَعْتَابِهَا خَاشِعِين وَجِلِين بَاكِين مُسْتَغِيثِين بِمَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِر].

إِنَّ العِلْمَ بِالله لَيْسَ كَلِمَاتٍ تُرَدَّد وَعِبَارَاتٍ تُكَرَّر؛ وَلَكِنَّهُ إِيمَانٌ صَادِق، وَيَقِينٌ رَاسِخ، يُثْمِرُ العَمَلَ الصَّالَح.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: « **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا**»[٢].

«وَلَيْسَتْ حَاجَةُ الأَرْوَاحِ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَعْظَم مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ بَارِيهَا وَفَاطِرِهَا وَمَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ وَالابْتِهَاجِ بِهِ، وَطَلَبِ الوَسِيلَةِ إِلَيْهِ وَالزُّلْفَى عِنْدَهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا

[١] «عُدَّةُ الصَّابِرِين» (ص٣٣٣).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٠).

إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَكُلَّمَا كَانَ العَبْدُ بِهَا أَعْلَم كَانَ بِاللهِ أَعْرَف وَلَهُ أَطْلَب وَإِلَيْهِ أَقْرَب»[١].

إِخْوَانِي فِي اللهِ: «مِنْ أَعْجَبِ الأَشْيَاءِ أَنْ تَعْرِفَهُ (جَلَّ جَلَالُهُ) ثُمَّ لَا تُحِبَّهُ، وَأَنْ تَسْمَعَ دَاعِيه ثُمَّ تَتَأَخَّرَ عَنْ الإِجَابَة، وَأَنْ تَعْرِف قَدْرَ الرِّبْح فِي مُعَامَلَتِهِ ثُمَّ تَعْمَل لِغَيْرِه، وَأَنْ تَعْرِف قَدْرَ غَضَبِهِ ثُمَّ تَتَعَرَّضَ لَهُ، وَأَنْ تَذُوق أَلَمَ الوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِهِ ثُمَّ لَا تَطْلُبَ الأُنْسَ بِطَاعَتِهِ، وَأَنْ تَذُوقَ عَصرَةَ القَلْبِ عِنْدَ الخَوْضِ فِي غَيْرِ حَدِيثِهِ وَالحَدِيثِ عَنْهُ ثُمَّ لَا تَشْتَاقَ إِلَى انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِذِكْرِهِ وَمُنَاجَاتِهِ، وَأَنْ تَذُوقَ العَذَابَ عِنْدَ تَعَلُّقِ القَلْبِ بِغَيْرِهِ وَلَا تَهْرَبَ مِنْهُ إِلَى نَعِيمِ الإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالإِنَابَه إِلَيْهِ.

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَابُدَّ لَكَ مِنْهُ وَأَنَّكَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَيْهِ وَأَنْتَ عَنْهُ مُعْرِضٌ وَفِيمَا يُبْعِدُكَ عَنْهُ رَاغِب»[٢].

إِخْوَانِي فِي اللهِ: «مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ تَلَقَّاهُ مِنْ بَعِيد، وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِأَجْلِهِ أَعْطَاهُ مِنْ فَضْلِهِ المَزِيد، وَمَنْ أَنْزَلَ بِهِ حَوَائِجَهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَأَعْطَاه كُلَّ مَا يَشْتَهِي وَيُرِيد، وَمَنْ اتَّقَاهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيد»[٣].

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.



---

[١] «الكَافِيَةُ الشَّافِيَة» (١ / ٣).

[٢] «الفَوَائِد» (ص ٤٧).

[٣] «مَجْمُوعُ خُطَب الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَن بَنِ نَاصِر السَّعْدِي» (ص٢٧).



كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَمَ بِالمَوْتِ مَشِيدَ الأَعْمَار، وَحَكَمَ بِالفَنَاءِ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّار، وَجَعَلَهُمْ فِيهَا أَعْرَاضًا لِسِهَامِ الأَقْضِيَةِ وَالأَقْدَار، وَأَجْرَى عَلَيْهِم أَمْرَاضًا تُزْعِجُهُمْ عَنِ القَرَار.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَحَلَاوَةُ مَحَامِدِهِ تَزْدَادُ بِالتَّكْرَار، وَأَشْكُرُهُ وَفَضْلُهُ عَلَى شَاكِرِهِ مِدْرَار.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ المَلِكُ العَظِيمُ القَهَّار، شَهَادَةً أَدَّخِرُهَا لِيَوْمٍ تَذْهَلُ فِيهِ العُقُولُ وَتَشْخَصُ الأَبْصَار، وَأُؤَمِّلُ بِهَا مِنْ كَرَمِهِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِه البَرَرَةِ الأَطْهَار، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَار، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

لَقَدْ أَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَّا يَشْكُو قَسْوَةَ قَلْبِه، وَالآخَرُ ضُعْفَ إِيمَانِه.. وَمَا ذَا وَذَاكَ إِلَّا سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الغَفْلَةِ الَّتِي أَثْمَرَتْ تَقْصِيرَنا وَتَفْرِيطَنا؛ إِذْ هِيَ مَرَضٌ عُضَال قَاطِعَةٌ لِحَبْلِ الوِصَال بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ الكَبِيرِ المُتَعَال، وَالعِيَاذُ بِالله.

فَكَانَ لِزَامًا عَلَى العَبْدِ أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا يَعِظُهُ وَيُذَكِّرُهُ لِيَعُودَ إِلَى رَبِّهِ وَيَتُوب، وَيَسْتَغْفِرَهُ وَيَؤُوب.

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ تَذَكُّرُ العَبْدِ لِمَوْتِه وَمُفَارَقَتِهِ لِأَهْلِه وَمَالِه، «قَالَ بَعْضُ السَّلَف: شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَاذَةَ الدُّنْيَا: ذِكْرُ المَوْتِ، وَالوُقُوفُ بَيْنَ يَدَي اللهِ عَجَّلَ.

وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا ... بِأَنَّ المَنَايَا بَغْتَةً سَتُعَاجِلُه
وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا ... بِأَنّ إِلَهَ الخَلْقِ لا بُدَّ سَائِلُهْ

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَفَى بِالمَوْتِ وَاعِظًا، وَكَفَى بِالدَّهْرِ مُفَرِّقًا، اليَوْمَ فِي الدُّور، وَغَدًا فِي القُبُور.

اُذْكُرِ المَوْتَ وَ دَاوِمْ ذِكْرَهُ ... إِنَّ فِي المَوْتِ لِذِي اللُّبِّ عِبَرْ
وَكَفَى بِالمَوْتِ فَاعْلَمْ وَاعِظًا ... لِمَنْ المَوْتُ عَلَيْهِ قَدْ قُدِرْ»[١]

إِنَّ المَوْتَ: «أَمْرٌ كُبَّار لِمَنْ أَنْجَدَ وَأَغَار، وَكَأْسٌ تُدَار فِيمَنْ أَقَامَ أَوْ سَار، وَبَابٌ تَسُوقُك إِلَيْهِ يَدُ الأَقْدَار، وَيُزْعِجُكَ فِيه حُكْم الاضْطِرار وَيَخْرُجُ بِكَ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّار.

خبرٌ يَصُمُّ الأَسْمَاع ويُغَيِّر الطِّبَاع، ويُكْثِر مِنَ الآلَامِ وَالأَوْجَاع.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي المَوْتِ إِلاَّ الإِعْدَام وَانْحِلَال الأَجْسَام، وَنَسْيَانُكَ أُخْرَى اللَّيَالِي وَالأَيَّام، لَكَانَ وَاللهِ لِأَهْلِ اللَّذَّاتِ مُكَدِّرًا وَلِأَصْحَابِ النَّعِيمِ مُغَيِّرًا، وَلِأَرْبَابِ العُقُولِ عَنْ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ زَاجِرًا وَمُنَفِّرًا..»[٢].

فَالكُلُّ سَيَمُوت إِلَّا ذُو العِزَّة وَالجَبَرُوت...

المَوْتُ كَأْسٌ وَكُلُّ النَّاسِ شَارِبُه ... فَلَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ المَوْتِ مَا الدَّارُ

[١] «لَطَائِفُ المَعَارِف»(ص١٣٢).
[٢] «العَاقِبَةُ فِي ذِكْرِ المَوْتِ» (ص٢٦).

وَلَقَدْ أَوْصَانَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِالإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ المَوْت، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ »[١].

فَالطَاعَاتُ تَتَفَرَّعُ عَنْ ذِكْرِ المَوْت، وَالمَعَاصِي تَتَفَرَّعُ عَنْ نِسْيَانِهِ وَالغَفْلَةِ عَنْه.

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ بَيْتِهِ: أَمَّا بَعْدُ: «**فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَشْعَرْتَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي لَيْلِكَ أَوْ نَهَارِكَ، بُغِّضَ إِلَيْكَ كُلُّ فَانٍ، وَحُبِّبَ إِلَيْكَ كُلُّ بَاقٍ، وَالسَّلَامُ**»[٢].

إِخْوَانِي فِي الله: «كَفَى بِالمَوْتِ مُقَرِّحًا لِلْقُلُوب، وَمُبْكِيًا لِلْعُيُون، وَمُفَرِّقًا لِلْجَمَاعَات، وَهَادِمًا لِلَّذَات، وَقَاطِعًا لِلأُمْنِيَات، فَهَلْ تَفَكَّرْتَ يَا ابْنَ آدَم فِي يَوْمِ مَصْرَعِك، وَانْتِقَالِكَ مِنْ مَوْضِعِك؟! وَإِذَا نُقِلْتَ مِنْ سَعَةٍ إِلَى ضِيق، وَخَانَكَ الصَّاحِبُ وَالرَّفِيق، وَهَجَرَكَ الأَخُ وَالصَّدِيق، وَأُخِذْتَ مِنْ فِرَاشِكَ وَغِطَائِكَ إِلَى عَرَر، وَغَطَّوْكَ مِنْ بَعْدِ لِينِ لِحَافِكَ بِتُرَابٍ وَمَدَر، فَيَا جَامِعَ المَال، وَالمُجْتَهِد فِي البُنْيَان لَيْسَ لَكَ وَالله مِنَ مَالٍ إِلَّا الأَكْفَان، بَلْ هِيَ وَالله لِلْخَرَابِ وَالذَّهَاب، وَجِسْمُكَ لِلتُّرَاب وَالمَآب»[٣].

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران].

[١] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٣٠٧)، وَابْنُ مَاجه (٤٢٥٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (١٢١٠).

[٢] «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٥/ ٢٦٤).

[٣] «التَّذْكِرَةُ فِي أَحْوَال المَوْتَى وَأُمُورِ الآخِرَة» (ص١١).

وَ«هَذِه الآيةُ الكَرِيمَةُ فِيهَا التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا بِفَنَائِهَا وَعدَم بَقَائِهَا، وَأَنَّهَا مَتَاعُ الغُرُور، تَفْتِنُ بِزَخْرَفِهَا، وَتَخْدَعُ بِغُرُورِهَا، وَتَغُرُّ بِمَحَاسِنِهَا، ثُمَّ هِيَ مُنْتَقِلَة، وَمُنْتَقل عَنْهَا إِلَى دَارِ القَرَار، الَّتِي تُوَفَّى فِيهَا النُّفُوسُ مَا عَمِلَتْ فِي هَذِهِ الدَّار»[١].

تَبْدَأُ هَذِهِ الرِّحْلَةُ العَجِيبَة الرَّهِيبَة بِخُرُوجِ الرُّوحِ إِلَى بَارِيهَا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السَّجْدَة].

عَنْ البَرَّاء بْنِ عَازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوه، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْس، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِس عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ (وَفِي رِوَايَةٍ: الْمُطْمَئِنَّةُ)، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا».

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ (وَفِي رِوَايَةٍ: الفَاجِر) إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَة، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاء مَلَائِكَةٌ (غِلَاظٌ شِدَادٌ)، سُودُ الوُجُوه، مَعَهُمْ المُسُوح (مِنَ النَّار)، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصر، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِه، فَيَقُولَ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُول»[٢].

[١] «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ» (ص١٥٩).

[٢] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٧٥٣)، وَأَحْمَد (١٧٨٠٣)، وصحَّحه الألباني فِي «أَحْكَام الجَنَائِز» (ص ١٥٦).

أَخِي الحَبِيب تَفكَّرْ وَ تَدبَّرْ .. كَيْفَ لَوْ حَلَّ بِكَ المَوْت ... تَخَيَّلْ وَقَدْ شَخَصَتْ مِنْكَ العَيْنَان ... وَبَرَدَتْ مِنْكَ القَدَمَان ... كَيْفَ بِالرُّوحِ وَقَدْ ﴿بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ إِنَّهُ الفَرَاق.. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القِيَامَة].

قَال الله تَعَالَى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ [قٓ].

«أَيْنَ الوَالِدُونَ وَمَا وَلَدُوا؟ أَيْنَ الجَبَّارُونَ وَأَيْنَ مَا قَصَدُوا؟ أَيْنَ أَرْبَابُ المَعَاصِي عَلَى مَاذَا وَرَدُوا؟ أَمَا جَنُوا ثَمَرَاتِ مَا جَنَوْا وَحَصَدُوا، أَمَا قَدِمُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي مَآلِهِم وَوَفَدُوا، أَمَا خَلَوْا فِي ظُلُمَاتِ القُبُورِ بَكَوْا وَانْفَرَدُوا، أَمَا ذَلُّوا وَقَلُّوا بَعْدَ أَنْ عَتَوْا وَمَرَدُوا، أَمَا طَلَبُوا زَادًا يَكْفِي فِي طَرِيقِهِمْ فَفُقِدُوا، أَمَا حَلَّ المَوْتُ فَحَلَّ عُقَدَ مَا عَقَدُوا، عَايَنُوا وَالله كُلَّ مَا قَدِمُوا وَوَجَدُوا، فَمِنْهُمْ أَقْوَامٌ شَقُوا وَأَقْوَامٌ سَعِدُوا»[١].

كَمَا حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى زِيَارَةِ القُبُور لِيَتَذَكَّرُوا وَيَتَفَكَّرُوا فِي حَالِهِم وَمَآلِهِم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[٢].

يَزُورُ المَرْءُ المَقَابِرَ «يَعْتَبِرُ بِمَنْ صَارَ تَحتَ التُّرَابِ، وَانْقَطَعَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ، بَعْدَ أَنْ قَادَ الْجُيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ، وَنَافَسَ الْأَصْحَابَ وَالْعَشَائِرَ، وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ وَالذَّخَائِرَ، فَجَاءَهُ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَمْ يَحْتَسِبْهُ، وَهَوْلٍ لَمْ يَرْتَقِبْهُ.

فَلْيَتَأَمَّلِ الزَّائِرُ حَالَ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِهِ، وَدَرَجَ مِنْ أَقْرَانِهِ الَّذِينَ بَلَغُوا الْآمَالَ، وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ، كَيْفَ انْقَطَعَتْ آمَالُهُمْ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ، وَمَحَا التُّرَابُ

[١] «التَّبْصِرَةُ» (٢/ ١٤٢).

[٢] رَوَاهُ ابْنُ مَاجه (١٥٦٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٣٥٧٧).

مَحَاسِنَ وُجُوهِهِمْ، وَافْتَرَقَتْ فِي الْقُبُورِ أَجْزَاؤُهُمْ، وَتَرَمَّلَ مِنْ بَعْدِهِمْ نِسَاؤُهُمْ، وَشَمَلَ ذُلُّ الْيُتْمِ أَوْلَادَهُمْ، وَاقْتَسَمَ غَيْرُهُمْ طَرِيفَهُمْ وَتِلَادَهُمْ، وَلْيَتَذَكَّرْ تَرَدُّدَهُمْ فِي الْمَآرِبِ، وَحِرْصَهُمْ عَلَى نَيْلِ الْمَطَالِبِ، وَانْخِدَاعَهِمْ لِمُوَاتَاةِ الْأَسْبَابِ، وَرُكُونَهِمْ إِلَى الصِّحَّةِ وَالشَّبَابِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَيْلَهُ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ كَمَيْلِهِمْ، وَغَفْلَتَهِ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ الْفَظِيعِ، وَالْهَلَاكِ السَّرِيعِ، كَغَفْلَتِهِمْ، وَأَنَّهُ لَابُدَّ صَائِرٌ إِلَى مَصِيرِهِمْ، وَلْيُحْضِرْ بِقَلْبِهِ ذِكْرَ مَنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي أَغْرَاضِهِ، وَكَيْفَ تَهَدَّمَتْ رِجْلَاهُ، وَكَانَ يَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا خُوِّلَهُ وَقَدْ سَالَتْ عَيْنَاهُ، وَيَصُولُ بِبَلَاغَةِ نُطْقِهِ وَقَدْ أَكَلَ الدُّودُ لِسَانَهُ، وَيَضْحَكُ لِمُوَاتَاةِ دَهْرِهِ وَقَدْ أَبْلَى التُّرَابُ أَسْنَانَهُ، وَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ حَالَهُ كَحَالِهِ، وَمَآلَهُ كَمَآلِهِ، وَعِنْدَ هَذَا التَّذَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ تَزُولُ عَنْهُ جَمِيعُ الْأَغْيَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْأُخْرَوِيَّةِ، فَيَزْهَدُ فِي دُنْيَاهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَيَلِينُ قَلْبُهُ، وَتَخْشَعُ جَوَارِحُه»[١].

كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟!

قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»**.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»**[٢].

---

[١] «الجامعُ لأحكامِ القرآن» (٢٠/ ١٧٢).

[٢] رَوَاهُ التِّرمذي(٢٣٠٨)، وَابنُ مَاجه (٤٢٦٧)، وَحَسَّنَهُ الألبَانِي فِي «صَحِيح التَّرغيب» (٣٥٥٠).

هُـوَ المَوْتُ مَا مِنْهُ مَلاذٌ وَلا مَهْرَبُ　　　　مَتَى حُطّ ذا عَنْ نَعْشِهِ ذاكَ يَرْكَبُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ تَدبُّرِكَ وَتَذَكُّرِكَ لِلْمَوْتِ وَسَكْرَتِه، وَالقَبْرِ وَظُلْمَتِه هُوَ أَنْ يَبْعَثَ فِي نَفْسِكَ امْتِثَالَ الأَوَامِرِ وَاجْتِنَابَ النَّوَاهِي، وَيُوقِدَ فِي قَلْبِكَ شَمْعَةَ الرُّجُوعِ وَالخُشُوعِ والخُضُوعِ لِعَلاَّمِ الغُيُوبِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاسْتَعِدْ لِذَلِكَ اليَوْمِ لِأَنَّ الأمرَ عَظِيم، وَالخَطْبَ جَسِيم.

وَاسْأَلْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لِتِلْكَ اللَّحَظَاتِ وَالسَّكَرَاتِ؟!

قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**دَخَلْتُ عَلَى عَابِدٍ بِالبَصْرَةِ وَإِذَا أَهْلُ بَيْتِهِ حَوْلَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْهُودٌ قَدْ أَجْهَدَهُ الاجْتِهَاد.**

قَالَ: فَبَكَى أَبُوهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ مَا الَّذِي يُبْكِيكَ؟

قَالَ: يَا بُنَيَّ أَبْكِي فَقْدَكَ وَمَا أَرَى مِنْ جَهْدِكَ.

قَالَ: فَبَكَتْ أُمُّهُ، فَقَالَ: أَيَّتُهَا الوَالِدَةُ الشَّفِيقَةُ الرَّفِيقَةُ مَا الَّذِي يُبْكِيكِ؟

قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَبْكِي فِرَاقَكَ وَمَا أَتَعَجَّلُ مِنَ الوَحْشَةِ بَعْدَكَ.

قَالَ: فَبَكَى أَهْلُهُ وَصِبْيَانُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَتَامَى بَعْدَ قَلِيلٍ مَا الَّذِي يُبْكِيكُمْ؟

قَالُوا: يَا أَبَانَا نَبْكِي فِرَاقَكَ وَمَا نَتَعَجَّلُ مِنَ اليُتْمِ بَعْدَكَ.

قَالَ: فَقَالَ: أَقْعِدُونِي أَقْعِدُونِي أَلَا أَرَى كُلَّكُمْ يَبْكِي لِدُنْيَايَ أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِآخِرَتِي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمَا يَلْقَاهُ فِي التُّرَابِ وَجْهِي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمُسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنكِيرٍ وَإِيَّاي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِوُقُوفِي بَيْنَ يَدَيْ الله رَبِّي؟!

قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً فَمَاتَ»[١].

فَيَا عَبْدَ الله بَادِرْ وَاغْتَنِمْ الدَّقَائِقَ وَالسَّاعَات فِي فِعْلِ الخَيْرَات، وَاحْذَرْ أَنْ تَرْحَل مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ خَفِيف الحَسَنَات..فَالسَّعِيدُ مَنْ وُفِّقَ لِصَالِحِ الأَعْمَال، وَالشَّقِيُ مَنْ فَرَّطَ وَضَيَّعَ العُمُرَ فِي غَيْرِ الطَّاعَات، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ هَلْ يَتَمَنَّى الرُّجُوعَ لِيَبْنِي الدُّور وَيَعْمُرَ القُصُور؟

هَلْ يَتَمَنَّى الرُّجُوعَ لِلتِّجَارَات وَ جَمْعِ الثَّرَوَات؟

كَلَّا!

إِنَّمَا يَتَمَنَّى الرَّجْعَةَ، مِنْ أَجْلِ التَّوْبَةِ وَالأَوْبَةِ وَغَسْلِ الحَوْبَةِ... ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ لَكِنْ يَأْتِيه التَّوْبِيخ وَالزَّجْر ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون].

فَيَا أَخِي هَا أَنْتَ فِي زَمَنِ الإِمْهَال فَبَادِرْ بِصَالِحِ الأَعْمَال، وَجَدِّدْ العَهْدَ مَعَ رَبِّكَ الكَبِيرِ المُتَعَال.

فَافْهَمْ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا، وَاحْذَرْ أَنْ تَفْتِنَكَ بِشَهَوَاتِهَا وَزَخَارِفِهَا ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

---

[١] «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٤/ ١٨).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»[١].

«هَذَا الحَدِيثُ أصلٌ فِي قِصَرِ الأَمَل فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ المُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا، فَيطْمَئنَّ فِيهَا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى جَنَاحِ سَفَر: يُهَيِّئُ جهازَه لِلرَّحِيل»[٢].

أَخِي الحَبِيب يَا مَنْ رَقَّ قَلْبُه، وَذُرِفَت دَمْعَتُه، أَعْلِنْ التَّوْبَةَ الآنْ الآنْ، وَعُدْ لِرَبِّكَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَن «أَفِقْ مِنْ سَكْرَتِكْ قَبْلَ حَسْرَتِكْ عَلَى المَعَايِب، وَتَذَكَّرْ نُزُولَ حُفْرَتِكَ وَهُجْرَانَ الأَقَارِب، وَانْهَضْ عَلَى بِسَاطِ الرُّقَاد وَقُلْ أَنَا تَائِب، وَبَادِرْ تَحْصِيلَ الفَضَائِل قَبْلَ فَوْتِ المَطَالِب، فَالسَّائِقُ حَثِيثٌ وَالحَادِي مُجِدٌّ وَالمَوْتُ طَالِب»[٣].

إِخْوَانِي فِي الله:

أَمَا آنَ الأَوَان لِنُحَاسِبَ أَنْفُسَنَا؟!

أَمَا آنَ الأَوَان لِنَتَدَارَكَ مَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِنَا فَنُحْسِنَ أَعْمَالَنَا؟!

أَمَا آنَ الأَوَان أَنْ نَسْتَيْقِظَ مِنْ سُبَاتِنَا فَنَنْتَبِهَ مِنْ غَفْلَتِنَا؟!

وَصَدَقَ الله القَائِلُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

---

[١] رواه البخاري (٦٤١٦).

[٢] «جامِعُ العُلُومِ وَالحِكَم» (٢/ ٤٢).

[٣] «التَبْصِرَة» (١/ ٦٤).

اللَّهُمَّ أَجِرْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّار، وَأَدْخِلْنَا بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ وَجُودِكَ الجَنَّةَ دَارَ القَرَار.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.







مَوْعِظَةٌ مُخْتَصَرَةٌ
مِنْ كِتَابِ «التَّذْكِرَةِ»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله العَلِيِّ الأَعْلَى[١]، الوَلِيِّ المَوْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَأَحْيَى، وَحَكَمَ عَلَى خَلْقِهِ بِالمَوْتِ وَالفَنَاءِ، وَالبَعْثِ إِلَى دَارِ الجَزَاءِ، وَالفَصْلِ وَالقَضَاءِ؛ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [سُورَةُ طه].

وَبَعْدُ:

«المَوْتُ هُوَ الخَطْبُ الأَفْظَع، وَالأَمْرُ الأَشْنَع، وَالكَأْسُ الَّتِي طَعْمُهَا أَكْرَهُ وَأَبْشَع، وَأَنَّهُ الحَارِثُ الأَهْدَمُ لِلَّذَات وَالأَقْطَعُ لِلرَّاحَات، وَالأَجْلَبُ لِلْكَرِيهَات، فَإِنَّ أَمْراً يُقَطِّعُ أَوْصَالَك، وَيُفَرِّقُ أَعْضَاءَك، وَيُهَدِّمُ أَرْكَانَك، لَهُوَ الأَمْرُ العَظِيم، وَالخَطْبُ الجَسِيم، وَإِنَّ يَوْمَهُ لَهُوَ اليَوْمُ العَظِيم»[٢].

«فَتَفَكَّرْ يَا مَغْرُور فِي المَوْتِ وَسَكْرَتِه، وَصُعُوبَةِ كَأْسِه وَمَرَارَتِه، فَيَا لِلْمَوْتِ مِنْ وَعْدٍ مَا أَصْدَقَه، وَمِنْ حَاكِمٍ مَا أَعْدَلَه.

كَفَى بِالمَوْتِ مُقَرِّحًا لِلْقُلُوب، وَمُبْكِيًا لِلْعُيُون، وَمُفَرِّقًا لِلْجَمَاعَات، وَهَادِمًا

---

[١] **إِخْوَانِي فِي اللهِ...إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي اللهِ.**

إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيَّ أَنْ وَفَّقَنِي لِقِرَاءَةِ «كِتَاب التَّذْكِرَة بِأَحْوَالِ المَوْتَى وَأُمُورِ الآخِرَة» لِلْإِمَام القُرْطُبِي رَحِمَهُ اللهُ كَامِلًا وَللهِ الحَمْد، وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ دَوَّنْتُ وَقَيَّدْتُ العَدِيدَ مِنَ الكَلِمَاتِ الوَعْظِيَّةِ المُؤَثِّرَة، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ المُفِيدِ إِخْرَاجَهَا لِلْمُنْتَفِعِينَ بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ المُوَفِّقُ.

[٢] «كِتَاب التَّذْكِرَة بِأَحْوَالِ المَوْتَى وَأُمُورِ الآخِرَة» (١/ ١٦٥).

لِلَّذَات، وَقَاطِعـًا لِلْأُمْنِيَات.

فَهَلْ تفَكَّرْتَ يَا ابْنَ آدَم فِي يَوْمِ مَصْرَعِك، وَانْتِقَالِك مِنْ مَوْضِعِك، وَإِذَا نُقِلْتَ مِنْ سَعَةٍ إِلَى ضَيْق، وَخَانَكَ الصَّاحِبُ وَالرَّفِيق، وَهَجَرَكَ الأَخُ وَالصَّدِيق، وَأُخِذْتَ مِنْ فِرَاشِك وَغِطَائِكَ إِلَى عَرَر، وَغَطَّوْكَ مِنْ بَعْدِ لِينِ لِحَافِك بِتُرَابٍ وَمَدَر.

فَيَا جَامِعَ المَال، وَالمُجْتَهِد فِي البُنْيَان لَيْسَ لَكَ وَالله مِنْ مَال إِلَّا الأَكْفَان؛ بَلْ هِيَ وَالله لِلْخَرَابِ وَالذَّهَاب وَجِسْمك لِلْتُّرَابِ وَالمَآب.

فَأَيْنَ الَّذِي جَمَعْتَه مِنَ المَال؟ فَهَلْ أَنْقَذَك مِنَ الأَهْوَال؟ كَلَّا بَلْ تَرَكْتَه إِلَى مَنْ لَا يَحْمَدُك، وَقَدِمْتَ بِأَوْزَارِك عَلَى مَنْ لَا يَعْذُرُك»[١].

«فَمَثِّلْ نَفْسَكَ يَا مَغْرُور وَقَدْ حَلَّتْ بِكَ السَّكَرَات، وَنَزَلَ بِكَ الأَنِينُ وَالغَمَرَات، فَمِنْ قَائِلٍ يَقُول: إِنَّ فُلَانـًا قَدْ أَوْصَى وَمَالَهُ قَدْ أَحْصَى.

وَمِنْ قَائِلٍ يَقُول: إِنَّ فُلَانـًا ثَقُلَ لِسَانُه، فَلَا يَعْرِفُ جِيرَانَه، وَلَا يُكَلِّمُ إِخْوَانَه، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَسْمَعُ الخِطَاب، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّ الجَوَاب، ثُم تَبْكِي ابْنَتُكَ وَهِيَ كَالأَسِيرَة، وَتَتَضَرَّعُ وَتَقُول: حَبِيبِي أَبِي مَنْ لِيُتْمِي مِنْ بَعْدِك؟ وَمَنْ لِحَاجَتِي ؟ وَأَنْتَ وَالله تَسْمَعُ الكَلَام وَلَا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّ الجَوَاب ..

فَخَيِّل لِنَفْسِكَ يَا ابْنَ آدَم إِذَا أُخِذْتَ مِنْ فِرَاشِك، إِلَى لَوْحِ مُغْتَسَلِك فَغَسَّلَكَ الغَاسِل، وَأُلْبِسْتَ الأَكْفَان، وَأَوْحَشَ مِنْكَ الأَهْلُ وَالجِيرَان، وَبَكَتْ عَلَيْكَ الأَصْحَابُ وَالإِخْوَان»[٢].

---

[١] (١/١٢٦).

[٢] (١/١٥٧).

«يَا هَذَا أَيْنَ الَّذِي جَمَعْتَهُ مِنَ الأَمْـوَال، وَأَعْدَدْتَّهُ لِلْشَّدَائِدِ وَالأَهْـوَال؟! لَقَدْ أَصْبَحَتْ كَفُّكَ مِنْهُ عِنْدَ المَوْتِ خَالِيَةً صِفْراً، وَبُدِّلَتْ مِنْ بَعْدِ غِنَاكَ وَعِزِّكَ ذُلًّا وَفَقْراً، فَكَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا رَهِينَ أَوْزَارِهِ، وَيَا مَنْ سُلِبَ مِنْ أَهْلِهِ وَدِيَارِه؟

مَا كَانَ أَخْفَى عَلَيْكَ سَبِيل الرَّشَاد، وَأَقَلّ اهْتِمَامَكَ لِحَمْلِ الزَّاد، إِلَى سَفَرِكَ البَعِيد، وَمَوْقِفِكَ الصَّعْبِ الشَّدِيد، أَوَ مَا عَلِمْتَ يَا مَغْرُور: أَنْ لَابُدَّ مِنَ الارْتِحَال، إِلَى يَوْمٍ شَدِيدِ الأَهْوَال؟ وَلَيْس يَنْفَعُكَ ثَمَّ لا قِيل وَلَا قَال؛ بَلْ يُعَدُّ عَلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ المَلِك الدَّيَّان، مَا بَطَشَتْ بِهِ اليَدَان، وَمَشَتْ بِهِ القَدَمَان، وَنَطَقَ بِهِ اللِّسَان، وَعَمِلَتْ الجَوَارِح وَالأَرْكَان؛ فَإِنْ رَحِمَكَ فَإِلَى الجِنَان، وَإِنْ كَانَتْ الأُخْرَى فَإِلَى النِّيرَان.

يَا غَافِلاً عَنْ هَذِهِ الأَحْـوَال، إِلَى كَمْ هَذِهِ الغَفْلَة وَالتَّوَان، أَتَحْسَبُ أَنَّ الأَمْرَ صَغِير، وَتَزْعُمُ أَنَّ الخَطْبَ يَسِير؟ وَتَظُنُّ أَنَّه سَيَنْفَعُكَ حَالُك، إِذَا آنَ ارْتِحَالُك، أَوْ يُنْقِذُك مَالُك، حِينَ تُوبِقُكَ أَعْمَالُك، أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُك، إِذَا زَلَّتْ بِكَ قَدَمُك، أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعْشَرُك، حِينَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُك، كَلَّا وَالله سَاءَ مَا تَتَوَهَّم وَلَابُدَّ لَكَ أَنْ سَتَعْلَم، لَا بِالكَفَافِ تَقْنَع، وَلَا مِنَ الحَرَامِ تَشْبَع، وَلَا لِلْعِظَات تَسْتَمِع، وَلَا بِالوَعِيدِ تَرْتَدِع، دَأْبُكَ أَنْ تَنْقَلِبَ مَعَ الأَهْوَاء، وَتَخْبطَ خَبْطَ العَشْوَاء، يُعْجِبُكَ التَّكَاثُرُ بِمَا لَدَيْك، وَلَا تَذْكُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْك، يَا نَائِمـاً فِي غَفْلَة وَفِي خَبْطَةِ يَقْظَان، إِلَى كَمْ هَذِهِ الغَفْلَة وَالتَّوَان، أَتَزْعُمُ أَنَّ سِتْرَكَ سُدًى، وَأَنْ لَا تُحَاسَبَ غَداً، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ المَوْتَ يَقْبَلُ الرِّشَا، أَمْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الأَسَدِ وَالرَّشَا، كَلَّا وَالله لَنْ يَدْفَعَ عَنْكَ المَوْتُ مَالٌ وَلَا بَنُون، وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ القُبُور إِلَّا العَمَل المَبْرُور، فَطُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى، وَحَقَّقَ مَا ادَّعَى، وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الهَوَى، وَعَلِمَ أَنَّ الفَائِزَ مَنْ ارْعَوَى، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا

مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سُورَةُ النَّجْمِ].

فَانْتَبِهْ مِنْ هَذِهِ الرَّقْدَة، وَاجْعَلِ العَمَلَ الصَّالِحَ لَكَ عُدَّة، وَلَا تَتَمَنَّ مَنَازِلَ الأَبْرَار، وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى الأَوْزَار عَامِلٌ بِعَمَلِ الفُجَّار، بَلْ كَثِّرْ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَات، وَرَاقِبْ الله فِي الخَلَوَات، رَبَّ الأَرْضِ وَالسَّموَات، وَلَا يَغُرَّنَّكَ الأَمَل، فَتَزْهَدَ عَنِ العَمَل، أَوَمَا سَمِعْتَ الرَّسُول حَيْثُ يَقُول، لَمَّا جَلَسَ عَلَى القُبُور: «يَا إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا»[١]؟

أَوَ مَا سَمِعْتَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ يَقُول: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؟ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٩٧]»[٢].

(فَالمُسْلِمُ)[٣]«.. يَعْتَبِرُ بِمَنْ صَارَ تَحْتَ التُّرَاب، وَانْقَطَعَ عَنْ الأَهْلِ وَالأَحْبَاب، بَعْدَ أَنْ قَادَ الجُيُوش وَالعَسَاكِر، وَنَافَسَ الأَصْحَابَ وَالعَشَائِر، وَجَمَعَ الأَمْوَالَ وَالذَّخَائِر، فَجَاءَهُ المَوْتُ عَلَى وَقْتٍ لَمْ يَحْتَسِبْه، وَهَوْلٍ لَمْ يَرْتَقِبْه.

فَلْيَتَأَمَّلْ الزَّائِرُ حَالَ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِه، وَدَرَجَ مِنْ أَقْرَانِه، الَّذِينَ بَلَغُوا الآمَال وَجَمَعُوا الأَمْوَال، كَيْفَ انْقَطَعَتْ آمَالُهُمْ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ، وَمَحَا التُّرَابُ مَحَاسِنَ وُجُوهِهِمْ، وَافْتَرَقَتْ فِي القُبُورِ أَجْزَاؤُهُمْ، وَتَرَمَّلَ بَعْدَهُمْ نِسَاؤُهُمْ، وَشَمَلَ ذُلُّ اليُتْمِ أَوْلَادَهُمْ، وَاقْتَسَمَ غَيْرُهُمْ طَرِيقَهُمْ وَبِلَادَهُمْ.

وَلَيَتَذَكَّر تَرَدُّدَهُمْ فِي المَآرِب، وَحِرْصَهُمْ عَلَى نَيْلِ المَطَالِب، وَانْخِدَاعَهُمْ لِمُؤَاتَاةِ

---

[١] رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (٤١٩٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه» (٣٣٨٣).
[٢] (١/ ٣٠٥).
[٣] أَضَفْتُ هَذِهِ الكَلِمَةَ لِرَبْطِ المَعْنَى، وَاللهُ المُوَفِّقُ.

الأَسْبَاب، وَرُكُونَهُمْ إِلَى الصِّحَّةِ وَالشَّبَاب، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَيْلَهُ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ كَمَيْلِهِمْ، وَغَفْلَتِهِ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَوْتِ الفَظِيع وَالهَلاَكِ السَّرِيع كَغَفْلَتِهِم، وَأَنَّهُ لاَبُدَّ صَائِر إِلَى مَصِيرِهم، وَلْيَحْضُر بِقَلْبِهِ ذِكْر مَنْ كَانَ مُتَرَدِّداً فِي أَغْرَاضِه، وَكَيْفَ تَهَدَّمَتْ رِجْلاَه، وَكَانَ يَتَلَذَّذ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا حَوْلَه وَقَدْ سَالَتْ عَيْنَاه، وَيَصُولُ بِبَلاَغَةِ نُطْقِه، وَقَدْ أَكَلَ الدُّودُ لِسَانَه، وَيَضْحَكُ لِمُؤَاتَاةِ دَهْرِه وَقَدْ أَبْلَى التُّرَابُ أَسْنَانَهُ، وَلْيَتَحَقَّقْ أَنَّ حَالَهُ كَحَالِه، وَ مَآلَهُ كَمَآلِه، وَعِنْدَ هَذَا التَذَكُّر وَالاعْتِبَار، يَزُولُ عَنْهُ جَمِيعُ الأَغْيَار الدُّنْيَوِيَّة، وَيُقْبِلُ عَلَى الأَعْمَال الأُخْرَوِيَّة، فَيَزْهَدُ فِي دُنْيَاه، وَيُقْبِلُ عَلَى طَاعَةِ مَوْلاَه، وَيَلِينُ قَلْبُه، وتَخْشَعُ جَوَارِحُه، وَ الله أَعْلَم»[١].

«..وَاعْلَمْ أَنَّ عَذَابَ القَبْرِ لَيْسَ مُخْتَصًّا بِالكَافِرِين وَلَا مَوْقُوفًا عَلَى المُنَافِقِين؛ بَلْ يُشَارِكُهُمْ فِيهِ طَائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِين، وَكُلٌّ عَلَى حَالٍ مِنْ عَمَلِه، وَمَا اسْتَوْجَبَهُ مِنْ خَطِيئَتِه وَ زَلَلِـهِ»[٢].

«أَيُّهَا النَّاس: قَدْ آنَ لِلْنَّائِم أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِه، وَحَانَ لِلْغَافِلِ أَنْ يَنْتَبِهَ مِنْ غَفْلَتِه قَبْلَ هُجُومِ المَوْتِ بِمَرَارَةِ كَأْسِه، وَقَبْلَ سُكُونِ حَرَكَاتِه، وَخُمُودِ أَنْفَاسِه، وَرِحْلَتِهِ إِلَى قَبْرِه، وَمَقَامِهِ بَيْنَ أَرْمَاسِه»[٣].

«قَالَ العُلَمَاء: وَإِذَا كَانَتْ الهِدَايَةُ إِلَى الله مَصْرُوفَة، وَالاسْتِقَامَةُ عَلَى مَشِيئَتِهِ مَوْقُوفَة، وَالعَاقِبَةُ مُغَيَّبَة، وَالإِرَادَةُ غَيْرُ مُغَالِبَة، فَلَا تُعْجَبْ بِإِيمَانِك وَعَمَلِك وَصَلَاتِك

---

[١] (١/ ١٣٥).

[٢] (١/ ٤١٣).

[٣] (١/ ١٥٥).

وَصَوْمِك وَجَمِيعِ قُرْبِك، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ كَسْبِك فَإِنَّهُ مِنْ خَلْقِ رَبِّك وَفَضْلِهِ الدَّارِّ عَلَيْك وَخَيْرِه، فَمَهْمَا افْتَخَرْتَ بِذَلِك، كُنْتَ كَالْمُفْتَخِرِ بِمَتَاعِ غَيْرِه، وَرُبَّمَا سَلَبَهُ عَنْك فَعَادَ قَلْبُكَ مِنَ الخَيْرِ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ البَعِير، فَكَمْ مِنْ رَوْضَةٍ أَمْسَتْ وَزَهْرُهَا يَانِعٌ عَمِيم، فَأَصْبَحَتْ وَزَهْرُهَا يَابِسٌ هَشِيم، إِذْ هَبَّتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ العَقِيم، كَذَلِكَ العَبْدُ يُمْسِي وَقَلْبُهُ بِطَاعَةِ الله مُشْرِقٌ سَلِيم، فَيُصْبِحُ وَهُوَ بِمَعْصِيَةٍ مُظْلِمٌ سَقِيم، ذَلِكَ فِعْلُ العَزِيزِ الحَكِيمِ الخَلَّاقِ العَلِيم»[١].

«فَمَنْ أَطَاعَ مَوْلَاه وَجَاهَدَ نَفْسَهُ وَهَوَاه، وَخَالَفَ شَيْطَانَهُ وَدُنْيَاه، كَانَتْ الجَنَّةُ نُزُلَهُ وَمَأْوَاه، وَمَنْ تَمَادَى فِي غَيِّهِ وَطُغْيَانِهِ وَأَرْخَى فِي الدُّنْيَا زِمَامَ عِصْيَانِه، وَوَافَقَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ فِي مُنَاهُ وَلَذَّاتِه وَأَطَاعَ شَيْطَانَهُ فِي جَمِيعِ شَهَوَاتِه كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِه، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ]»[٢].

«عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ وَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ »[٣].

«وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ السُّوَرَ الثَّلَاث أَخَصَّ بِالقِيَامَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ انْشِقَاقِ السَّمَاء وَانْفِطَارِهَا، وَتَكَوُّرِ شَمْسِهَا وَانْكِدَارِ نُجُومِهَا وَتَنَاثُرِ كَوَاكِبِهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ

---

[١] (١/ ١٩٧).

[٢] (٢/ ٨٨٠).

[٣] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٣٣٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِي» (٢٦٥٣).

أَفْزَاعِهَا وَأَهْوَالِهَا، وَخُرُوجِ الخَلْقِ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى سُجُونِهِمْ أَوْ قُصُورِهِمْ بَعْدَ نَشْرِ صُحُفِهِمْ وَقِرَاءَةِ كُتُبِهِمْ، وَأَخْذِهَا بِأَيْمَانِهِمْ وَشَمَائِلِهِمْ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ فِي مَوْقِفِهِمْ..»[١].

«فَتَفَكَّرْ يَا أَخِي وَإِنْ كُنْتَ شَاهِداً عَدْلاً بِأَنَّكَ مَشْهُودٌ عَلَيْك فِي كُلِّ أَحْوَالِك مِنْ فِعْلِك وَمَقَالِك وَأَعْظَمُ الشُّهُودِ لَدَيْك المُطَّلِعِ عَلَيْك الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة عَيْن وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ زَمَانٌ وَلَا أَيْن.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ :٦٣]، فَاعْمَلْ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْه وَقَادِمٌ عَلَيْه يُجَازِي عَلَى الصَّغِير وَالكَبِير وَالقَلِيل وَالكَثِير، سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»[٢].

«فَتَوَهَّمْ نَفْسَكَ يَا أَخِي إِذَا صِرْتَ عَلَى الصِّرَاطِ وَنَظَرْتَ إِلَى جَهَنَّمَ تَحْتَكَ سَوْدَاء مُظْلِمَة قَدْ لَظَى سَعِيرُهَا وَعَلَا لَهِيبُهَا وَأَنْتَ تَمْشِي أَحْيَانًا وَتَزْحَفُ أُخْرَى[٣]... فَتَفَكَّرْ الآنَ فِيمَا يَحُلُّ بِكَ مِنَ الفَزَعِ بِفُؤَادِك إِذَا رَأَيْتَ الصِّرَاطَ وَدِقَّته، ثُمَّ وَقَعَ بَصَرُكَ عَلَى سَوَادِ جَهَنَّم مِنْ تَحْتِه، ثُمَّ قَرَعَ سَمْعُكَ شَهِيقَ النَّارِ وَتَغَيُّظَهَا، وَقَدْ كُلِّفْتَ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى الصِّرَاطِ مَعَ ضُعْفِ حَالِك، وَاضْطِرَابِ قَلْبُك، وَتَزَلْزُلِ قَدَمِك وَثِقَلِ ظَهْرِك بِالأَوْزَار، المَانِعَةُ لَك مِنَ المَشْيِ عَلَى بِسَاطِ الأَرْضِ، فَضْلاً عَنْ حِدَّة الصِّرَاط، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا وَضَعْتَ عَلَيْهِ إِحْدَى رِجْلَيْك فَأَحْسَسْتَ بِحِدَّتِهِ، وَاضْطَرَرْتَ إِلَى

[١] (١/ ٥٣٨).
[٢] (٢/ ٦٨٠).
[٣] (٢/ ٧٥٣).

أَنْ تَرْفَعَ القَدَمَ الثَّانِي، وَالخَلَائِقُ بَيْنَ يَدَيْك يَزِلُّون وَيَعْثُرُون، وَتتَنَاوَلُهُمْ زَبَانِيَةَ النَّارِ بِالخَطَاطِيفِ وَالكَلَالِيب، وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ كَيْفَ يُنَكَّسُونَ فَتَسْفُلُ إِلَى جِهَةِ النَّارِ رُؤُوسُهم، وَتَعْلُو أَرْجُلُهُمْ.

فَيَا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ مَا أَفْظَعَه، وَمُرْتَقًى مَا أَصْعَبَه، وَمَجَازًا مَا أَضْيَقَه»[١].

«نَسْأَلُ الله العَظِيم، رَبَّ العَرْشِ العَظِيم، أَنْ يَتَوَفَّانَا مُسْلِمِين، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِين، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ المُتَّقِين الفَائِزِين، وَيَجْعَلَ مَا كَتَبْتُهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيم، بِمَنِّهِ وَ كَرَمِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَوَالِدِينَا.

وَغَفَرَ الله لِصَاحِبِ هَذَا الكِتَاب، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِسَائِرِ المُسْلِمِين أَجْمَعِين، آمِين يَا رَبَّ العَالَمِين .

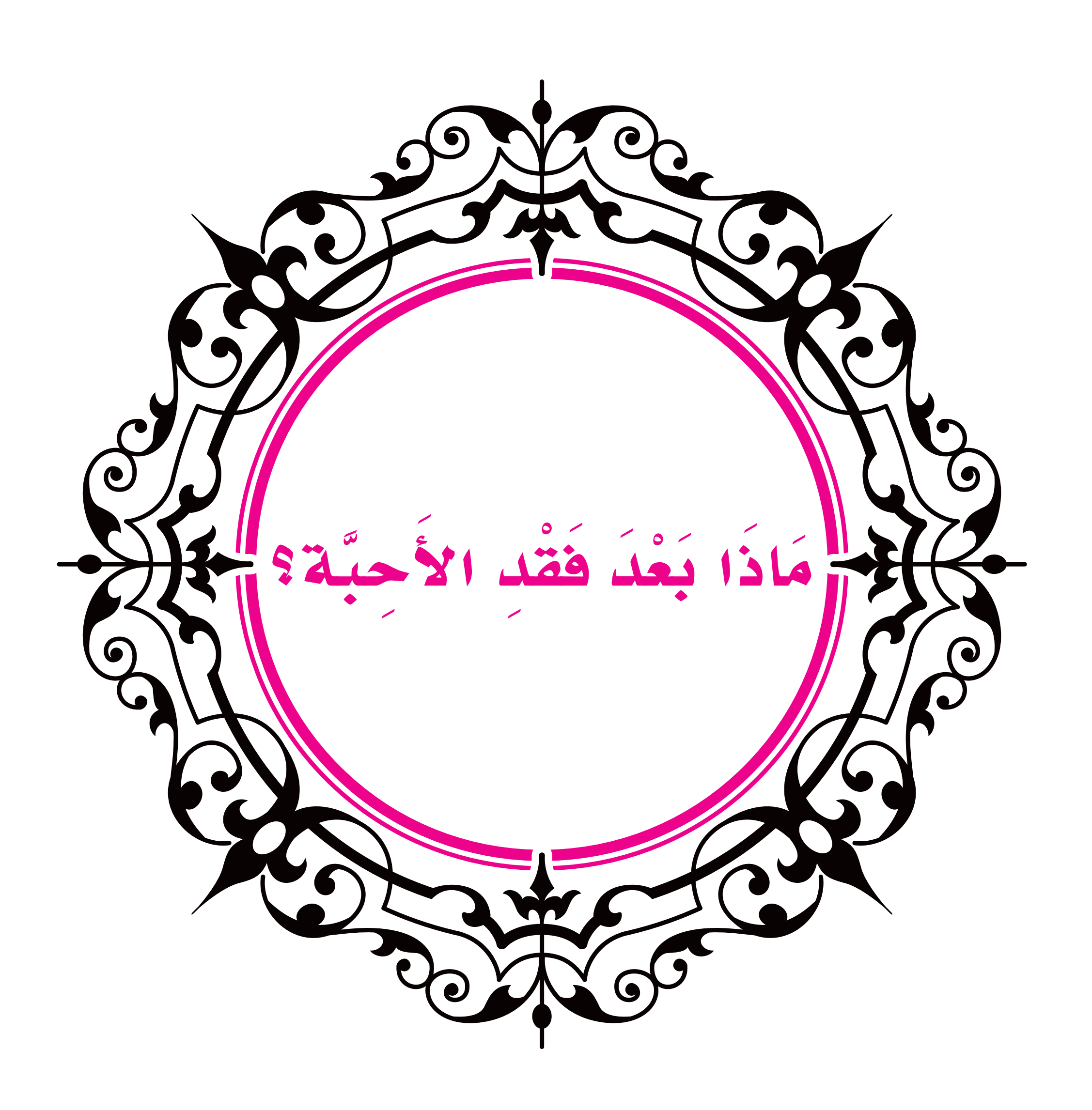
تَمَّ الكِتَابُ وَرَبُّنَا مَحْمُودُ ... وَلَهُ المَكَارِمُ وَالعُلَا وَالجُودُ

وَعَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُهُ ... مَا نَاحَ قِمْرِيٌّ وَأَوْرَقَ عُودُ»[٢]

❑❑❑❑❑❑❑

[١] (٢/ ٧٥٧).

[٢] (٣/ ١٣٥٥).



مَاذَا بَعْدَ فَقْدِ الأَحِبَّةِ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله الجَلِيل وَصْفُه، الجَمِيل لُطْفُه، الجَزِيل ثَوَابُه، الشَّدِيد عِقَابُه، الحَيّ القَيُّوم، الَّذِي أَوْجَدَ الكَوْنَ مِنْ عَدَمٍ وَدبَّرَه، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَقَدَّرَه، ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَـهٍ مَا أَعَزَّه وَأَقْدَرَه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه شَهَادَةَ مُعْتَرِفٍ بِوَحْدَانِيَّته، مُقِرٍّ بِأُلُوهِيَّته وَرُبُوبِيَّتِه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ أَفْضَل بَرِيَّته، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَأَصْحَابِه صَفْوَةَ الله مِنْ خَلْقِهِ وَخِيرَته.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله ..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

إِنَّ الدُّنْيَا جُبِلَتْ عَلَى المَصَائِب، وَطُبِعَتْ عَلَى المَتَاعِب: بَلَاء وَنَكَد ابْتِلَاء وَكَبَد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [سُورَةُ البَلَدِ].

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ المُصِيبَات الَّتِي تَنْزِلُ، وَالمُدْلَهِمَّات الَّتِي تَحُلّ: فَقْدُ الأَحِبَّة مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَات، وَالإِخْوَة وَالأَخَوَات، وَالأَخْوَالِ وَالخَالَات، وَالأَعْمَام وَالعَمَّات.. وَالأَحْبَاب وَالأَصْحَاب كَمَا قَالَ الله ﷻ: ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ :١٠٦].

فَيَا الله! مَا أَصْعَبَهَا مِنْ لَحَظَات! وَأَعْسَرَهَا مِنْ دَقَائِق وَسَاعَات! يَوْمَ تَرَى حَبِيبًا لَكَ يُفَارِقُ الحَيَاة إِلَى قَبْرِهِ وَتُرَابِه فَتَتَجَرَّعُ مَرَارَة الفِرَاق وَالوَدَاع.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [سُورَةُ طه].

فَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى أَنْ يَدْفِنَ أُمَّهُ وَيَضَعُهَا فِي قَبْرِهَا وَهُوَ يَتَذَكَّرُ حَنَانَهَا وَعَطْفَهَا..يَتَذَكَّرُ أَيَّامَهَا الجَمِيلَة وَأَخْلَاقَهَا النَّبِيلَة؟!

وَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى دَفْنِ أَبِيه الَّذِي جَدَّ وَاجْتَهَدَ وَتَعِبَ فِي الحَيَاة لِيُؤَمِّنَ له قَارِبَ النَّجَاة؟!

وَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى دَفْنِ ابْنِهِ الَّذِي هُوَ فَلْذَةُ كَبِدِهِ، وَخُلَاصَةُ فُؤَادِهِ؟!

وَكَيْفَ يَقْوَى العَبْدُ عَلَى دَفْنِ حَبِيبٍ لَهُ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ ابْتِسَامَتَهُ وَطِيب كَلَامِهِ وَحُسْنَ أَخْلَاقِهِ؟!

فَفِي هَذِهِ المَوَاقِفِ يَظْهَرُ جَلِيًّا أَثَرُ الإِيمَانِ بِالله وَاليَوْمِ الآخِر، قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

عِبْرَةٌ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: « **اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**».

قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»[١].

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٨٣)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٢٦).

ما يُقالُ عِنْدَ المُصِيبَة:

مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَهُ العَبْدُ عِنْدَ المُصِيبَة مَا ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ:

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ:** ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ **اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ»[١].

أُمُورٌ لا تُنَافِي الصَّبْر:

١/البُكَاءُ بِضَوَابِطِهِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ..فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ: « **يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ** »، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ :« **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»[٢].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ:«هَذَا الحَدِيثُ يُفَسِّرُ البُكَاءَ المُبَاحَ، وَالحُزْنَ الجَائِزَ، وَهُوَ مَا كَانَ بِدَمْعِ العَيْنِ وَرِقَّةِ القَلْبِ مِنْ غَيْرِ سَخَطٍ لِأَمْرِ اللهِ..»[٣].

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩١٨).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٠٣)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٥).

[٣] «فَتْحُ البَارِي» (٣/ ١٧٤).

٢/الشَّكْوَى إِلَى الله تَعَالَى:

وَلَنَا فِي نَبِيِّ الله يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسْوَة حَسَنَة؛ فَلَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ إِنَّمَا شَكَا إِلَى الله وَحْدَه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[يُوسُف].

«شَكَا إِلَى الله وَلَمْ يَشْكُ مِنَ الله، وَمَنْ شَكَا إلى الله وَصَل، وَمَنْ شَكَا مِنَ الله انْفَصَل، وَلَمَّا شَكَا إِلَى الله، وَجَدَ الخَلَفَ مِنَ الله»[١].

أَمَّا «إِذَا شَكَا العَبْدُ رَبَّهُ إِلَى مَخْلُوقٍ مِثْله فَقَدْ شَكَا مَنْ يَرْحَمُهُ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُهُ»[٢].

مِنَ المُنْكَرَاتِ العَظِيمة عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَة:

لَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ الحَكِيم عَنْ كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ يَدُلُّ عَلَى التَّسَخُّطِ، وَعَدَمِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ الله وَقَدَرِه:

١/تَمْزِيقُ الثِّيَاب وَالدُّعَاءُ بِالوَيْل:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ»[٣].

وَمَعْنَى الحَدِيث:

«(الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا) أَيْ جَارِحَتهُ بِأَظْفَارِها وَخَادِشَتهُ بِبَنَانِهَا، (وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا) أَيْ جَنْب قَمِيصِهَا عِنْدَ المُصِيبَة، (وَالدَّاعِيَةَ) عَلَى نَفْسِهَا (بِالْوَيْلِ) أَيْ الحُزْن وَالمَشَقَّة،

[١] «اللَّطَائِفُ وَالإِشَارَات» (٣/ ٢٠٠).

[٢] «عُدَّةُ الصَّابِرِين»(ص٢٣٢).

[٣] رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (١٥٨٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٥٠٩٢).

(الثُّبُورِ) الهَلَاك: يَا حُزْنِي يَا هَلَاكِي»[١].

وَكَذَلِكَ مِمَّا لَا يُشْرَعُ اتِّخَاذ لَوْنٍ مُعَيَّنٍ لِلِّبَاسِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الحُزْنِ كَالأَسْوَدِ مَثَلًا، قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: «لُبْسُ السَّوَادِ عِنْدَ المَصَائِبِ شِعَارٌ بَاطِلٌ؛ لَا أَصْلَ لَه»[٢].

٢/لَطْمُ الخُدُود وَشَقُّ الجُيُوب وَالدُّعَاء بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»**[٣].

وَمَعْنَى الحَدِيث:

«وَشَقَّ الْجُيُوبَ» جَمْعُ جِيب، وَ«الجِيب: مَا شَقَّ مِنَ الثَّوْب لِإِدْخَالِ الرَّأْس»[٤].

«وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»: «وَذَلِكَ بِالتَّفَجُّع عَلَى المَيِّت وَالنِّيَاحَةِ عَلَيْه بِأَنَّهُ قَاتِلُ النُّفُوس وَكَهْفُ العَشِيرَة وَكَافِلُ الأَيْتَام.. إِلَى غَيْرِ ذَلِك مِنَ المَنَاقِبِ الَّتِي كَانُوا يُعَدِّدُونَهَا، وَمِثْلُهُ النَّدبَة كَـ» يَاسَنَدَاه « وَ » انْقِطَاعُ ظَهْرَاه « وَكُلُّ قَوْلٍ يُنْبِئ عَنْ السَّخَطِ وَالجَزَعَ مِنْ قَدَرِ الله تَعَالَى وَحِكْمَتِه»[٥].

٣/النِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّت:

---

[١] «فَيْضُ القَدِير» (٥/ ٣٤١).

[٢] «فَتَاوَى عُلَمَاء البَلَد الحَرَام» (ص٨٢١).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٢٩٤)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٣).

[٤] «تَيْسِيرُ العَلَّام» (ص٣٩٤).

[٥] «تَيْسِيرُ العَلَّام» (ص٣٩٤).

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[١].

وَمَعْنَى الحَدِيث:

«أَيْ يَصِيرُ جِلْدُهَا أَجْرَبًا حَتَّى يَكُونَ جِلْدُها كَقَمِيصٍ عَلَى أَعْضَائِهَا وَ«الدِّرْعُ» قَمِيصُ النِّسَاء وَ«القَطِرَان» دُهْنٌ يُدْهَنُ بِه الجَمَلُ الأَجْرَبُ فَيَحْتَرِقُ لِحِدَّتِه وَحَرَارَته فَيَشْتَمِلُ عَلَى لَذْعِ القَطِرَان وَحُرْقَتِهِ وَإِسْرَاعِ النَّارِ فِي الجِلْدِ وَاللَّوْنِ الوَحِش وَنَتَنِ الرِّيح جَزَاءً وِفَاقًا، فَخُصَّتْ بِذَلِكَ الدِّرْع لِأَنَّهَا كَانَتْ تَجْرَحُ بِكَلِمَاتِهَا المُؤَنِّقَة قَلْبَ المُصَاب، وَبِلَوْنِ القَطِرَان لِكَوْنِهَا كَانَتْ تَلْبِسُ السَّوَادَ فِي المَآتِم»[٢].

تَنْبِيهٌ: وَفِي العَامِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ العَدِيدُ مِنَ العِبَارَاتِ المُحَرَّمَةِ الَّتِي قَدْ تُقَالُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ هَدَاهُمْ الله عِنْدَ المُصِيبَةِ؛ مِنْهَا:

١/ «**تْفَكْرُو رَبِّي**»: فِيهَا وَصْفٌ لله تَعَالَى بِالنِّسْيَان وَالعِيَّاذُ بِالله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ].

٢/ «**وَعْلَاشْ يَا رَبِّي**»،«**شَفْتْنَا غِيرْ حنَا يَا رَبِّي**»، «**لُو كَانْ غِير خَلَّاه لَوْلَادُو**»: وَغَيْرِهَا مِنَ الكَلِمَات الَّتِي تَدُلُّ عَلَى ضُعفِ الإِيمَان خَاصَّةً بِالقَضَاء وَالقَدَر الَّذِي هُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَان، وَفِيهَا وَصْفٌ لله تَعَالَى بِالظُّلْم تَعالَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[سُورَةُ فُصِّلَتْ].

٣/ «**المَرْحُوم**»، «**المَغْفُورُ لَه**»: لَا يُجْزَمُ لِأَحَدٍ بِعَيْنِه بِأَنَّهُ مَغْفُورٌ لَه أَوْ مَرْحُومٌ؛ بَلْ

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٣٤).

[٢] « فَيْض القَدِير » (٦/ ٣٨١).

يُدْعَى لَه: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَه، اللَّهُمَّ ارْحَمْه».

فَلْنَحْذَر كُلّ الحَذَر مِنْ هَذِه الكَلِمَات، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[١].

مَا يُعْمَلُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ عَمَلِ البِرِّ -أَيْ بَعْدَ مَوْتِه-:

إِخْوَانِي فِي الله مَا مِنْ أَحِدٍ مِنَّا إِلَّا وَقَدْ فَقَدَ أُمًّا غَالِيَةً أَوْ أَبًا عَزِيزًا أَوْ أَخًا حَبِيبًا أَوْ صَدِيقًا قَرِيبًا: هُمْ الآن رَهِينُوا أَفْعَالِهِمْ: انْقَطَعَتْ أَعْمَالُهُمْ، وَانْتَهَتْ آجَالُهُمْ؛ وَلَكِنْ شَتَّان وَشَتَّان بَيْنَ أَهْلِ الإِيمَان وَأَصْحَاب الغَفْلَةِ وَالنِّسْيَان.

فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ أَنْ فَتَحَ لَنَا بَابَ الخَيْرِ لِنَفْعِ الغَيْرِ بِإِذْنِ الله، فَلْنُبَادِر بِالعَمَلِ الصَّالِح عَسَى الله أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

«وَالدَّلِيلُ عَلى انْتِفَاعِ المَيِّتِ بِغَيْرِ مَا تَسَبَّبَ فِيهِ، الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ وَالقِيَاسُ الصَّحِيح»[٢].

وَ أَمَّا الأَعْمَالُ الَّتِي يُنْتَفَعُ بِهَا:

١/ الدُّعَاءُ وَ الاسْتِغْفَارُ:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[٣].

---

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤٧٨)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٨).

[٢] «شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة»(ص٣٨٦).

[٣] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٣٢٢١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٩٤٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟**

فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ »[١].

٢/ الصَّدَقَةُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟

قَالَ: « **نَعَمْ** »[٢].

وَمِنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَةِ سَقْيُ المَاءِ؛ وَذَلِكَ «لِأَنَّهُ أَعَمُّ نَفْعًا فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ خُصُوصًا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْحَارَّةِ»[٣].

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟

قَالَ « **نَعَمْ** ».

قُلْتُ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟

قَالَ « **سَقْيُ الْمَاءِ** »[٤].

٣/ قَضَاءُ الدَّيْنِ:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ، لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَقَالَ:« **هَلْ**

[١] رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (٣٦٦٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٢٤٩٧).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٨٨)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٠٤).

[٣] « عَوْنُ المَعْبُود» (٥/ ٦٥).

[٤] رَوَاهُ النَّسَائِي (٣٦٦٤)، وَقَالَ الأَلْبَانِي «حَسَن لِغَيْرِه» فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (٩٦٢).

عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ؟ »

قَالُوا: لاَ .

فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: « **هَلْ عَلَيْهِ مَنْ دَيْنٍ ؟**» .

قَالُوا نَعَمْ.

قَالَ: « **صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ** ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ :عَلَيَّ دَيْنُهُ يَا رَسُولَ اللهِ .

فَصَلَّى عَلَيْهِ»[١].

٤/ الصَوْمُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»[٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟

فَقَالَ: « **لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا ؟**»

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ:« **فَدَيْنُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى**»[٣].

---

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٩٥).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٩٥٢)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٤٧).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٩٥٣)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٤٨).

٥/ الحَجُّ وَالعُمْرَةِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟

قَالَ: « **نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ** »[١].

قِصَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ:

قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: « دَخَلْتُ عَلَى عَابِدٍ بِالبَصْرَةِ وَإِذَا أَهْلُ بَيْتِهِ حَوْلَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْهُودٌ قَدْ أَجْهَدَهُ الاجْتِهَاد.

قَالَ: فَبَكَى أَبُوهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ مَا الَّذِي يُبْكِيكَ؟

قَالَ: يَا بُنَيَّ أَبْكِي فَقْدَكَ وَمَا أَرَى مِنْ جَهْدِكَ.

قَالَ: فَبَكَتْ أُمُّهُ، فَقَالَ: أَيَّتُهَا الوَالِدَةُ الشَّفِيقَةُ الرَّفِيقَةُ مَا الَّذِي يُبْكِيكِ؟

قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَبْكِي فِرَاقَكَ وَمَا أَتَعَجَّلُ مِنَ الوَحْشَةِ بَعْدَكَ.

قَالَ: فَبَكَى أَهْلُهُ وَصِبْيَانُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَتَامَى بَعْدَ قَلِيلٍ مَا الَّذِي يُبْكِيكُمْ؟

قَالُوا: يَا أَبَانَا نَبْكِي فِرَاقَكَ وَمَا نَتَعَجَّلُ مِنَ اليُتْمِ بَعْدَكَ.

قَالَ: فَقَالَ: أَقْعِدُونِي أَقْعِدُونِي أَلَا أَرَى كُلَّكُمْ يَبْكِي لِدُنْيَايَ أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِآخِرَتِي؟!

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٥٢).

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمَا يَلْقَاهُ فِي التُّرَابِ وَجْهِي؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمُسَاءَلَةِ مُنْكَرٍ وَنكِيرٍ وَإِيَّايَ؟!

أَمَا فِيكُمْ مَنْ يَبْكِي لِوُقُوفِي بَيْنَ يَدَيْ الله رَبِّي؟!

قَالَ: ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً فَمَاتَ»[١].

وَفِي الخِتَام:

إِخْوَانِي فِي الله اعْلَمُوا أَنَّ « المَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةٍ فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ وَبِرَكْعَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِذَلِك، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِك، قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ العَمَلِ...

وَ رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي المَنَامِ فَقَال: نَدِمنَاَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ: نَعْلَم وَ لَا نَعْمَل، وَ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُون، وَالله لَتَسْبِيحَةٌ أَوْ تَسْبِيحَتَان، أَوْ رَكْعَةٌ أَوْ رَكْعَتَان فِي صَحِيفَةِ أَحَدِنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيهَا.

قَالَ بَعْضُ السَّلف : «كُلُّ يَوْمٍ يَعِيشُ فِيهِ المُؤْمِنُ غَنِيمَة»..

مَنْ أَصْلَحَ فِيمَا بَقِي غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِي أُوخِذَ بِمَا بَقِي وَمَا مَضَى»[٢].

نَصِيحَةٌ: إِخْوَانِي فِي الله..فَلَا تَنْسَوا الأَمْوَات مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهات، وَالإِخْوَةِ وَالأَخَوَات..بِالدَّعَوَات وَالصَّدَقَات..فَإِنَّهُمْ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَى ذَلِك..

جَعَلَنَا الله وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ قَالَ الله عَنْهُمْ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

[١] «صِفَةُ الصَّفْوَة» (٤/ ١٨).

[٢] «لَطَائِفُ المَعَارِف» (ص٤٠٨).

﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ].

عَلَى أَمَلٍ بِاللهِ أنَّا سَنَلْتَقِي	عَلَى سُرُرِ الفِرْدَوسِ فَاللهُ رَائِفُ
سَنَذْكُرُ وَعْدًا مِنْ مَلِيكٍ مُهَيْمِنٍ	بِجَنَّةِ عَدْنٍ حِينَ يَهْتِفُ هَاتِفُ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَادْخُلُوهَا بِرَحْمَةٍ	وَيَمْتَازُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ تَعَارُفُ

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّين.





الزِّلْزَال

دُرُوسٌ وَعِبَر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله مُعِزِّ مَنْ أَطَاعَه وَاتَّقَاه، وَمُذِلِّ مَنْ أَضاعَ أَمْرَهُ وَعَصَاه، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى جَزِيلِ كَرَمِهِ وَمَا أَوْلَاه، وَأَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ وَمَا أَسْدَاه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا رَبَّ سِوَاه، مَا خَابَ مَنْ دَعَاه، وَلَا يَئِسَ مَنْ رَجَاه.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْر عَبْدٍ اصْطَفَاه، صَلَّى الله عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ كَانَ هَوَاهُ تَبَعًا لِهُدَاه.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله ..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

تَنَبَّهُوا وَانْتَبِهُوا..وَاحْذَرُوا وَحَذِّرُوا..وَتَذَكَّرُوا وَذَكِّرُوا..وَاعْلَمُوا وَعَلِّمُوا أَنَّ المَعَاصِيَ وَالذُّنُوب خَطَرٌ عَلَى الأَبْدَانِ وَالقُلُوب، وَأَثرهَا ظَاهِرٌ عَلَى الأَوْطَانِ وَالشُّعُوب، وَهِيَ سَبَبٌ لِسَخَطِ عَلَّامِ الغُيُوب ﷻ.

كَمْ جَلَبَتْ مِنْ مَصَائِب..وَحَلَّتْ بِهَا مِنْ مَتَاعِب؟!

كَمْ زَالَتْ بِهَا مِنْ نِعَم..وَحَصَلَتْ بِهَا مِنْ نِقَم؟!

بِهَا تَتَوَالَى المِحَن، وَتَتَدَاعَى الفِتَن، وَبِالمَعَاصِي تَتَعَسَّرُ شُؤُونُ العَاصِي: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

فَالعِزَّةُ كُلُّ العِزَّةِ فِي طَاعَةِ الله، وَالذِّلَّةُ كُلُّ الذِّلَّةِ فِي مَعْصِيَةِ الله،قال عزّ من قائل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ :١٠].

وَ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾ [سُورَةُ

المجادلة].

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّهُمْ (أَيْ العُصَاة) وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمْ البِغَال، وَهَمْلَجَتْ بِهِمْ البَرَاذِين فَإِنَّ ذُلَّ المَعْصِيَةِ لَا تُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ؛ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاه»[١].

إِخْوَانِي فِي الله:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ لِاجْتِنَابِ ارْتِكَابِ المَعَاصِي (الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ) النَّظَر فِي مَآلَاتِهَا وَآثَارِهَا السَّيِّئَة؛ فَمِنْهَا: «قِلَّةُ التَّوْفِيق، وَفَسَادُ الرَّأْيِ، وَخَفَاءُ الحَقِّ، وَفَسَادُ القَلْبِ، وَخُمُولُ الذِّكْر، وَإِضَاعَةُ الوَقْت، وَنُفْرَةُ الخَلْق، وَالوَحْشَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدُّعَاء، وَقَسْوَةُ القَلْبِ، وَمَحْقُ البَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ وَالعُمْرِ، وَحِرْمَانُ العِلْمِ، وَلِبَاسُ الذُّلِّ، وَإِهَانَةُ العَدُوِّ، وَضِيْقُ الصَّدْرِ، وَالابْتِلَاءُ بِقُرَنَاءِ السُّوءِ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ القَلْبَ وَيُضَيِّعُونَ الوَقْتَ، وَطُولُ الهَمِّ وَالغَمِّ، وَضَنْكُ المَعِيشَةِ»[٢].

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ بَعْضَ الآثَار لِبَعْضِ المَعَاصِي فَقَالَ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ**

---

[١] «الجَوَابُ الكَافِي» (ص٣٨).

[٢] «الفَوَائِدُ» (ص٣٣).

السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[١].

فَهَذَا كَلَامٌ وَاضِحٌ بَيِّنٌ مِنْ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّ مَعْصِيَةَ الله ﷻ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَعْصِيَةٍ تَرْجِعُ عَلَى الفَرْدِ فَحَسْب؛ بَلْ آثَارُهَا مُتَعَدِّيَةٌ عَلَى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ وَالعِيَاذُ بِالله.

وَإِنَّ مِنْ أَخْطَرِ المَرَاحِلِ فِي طَرِيقِ المَعْصِيَةِ أَنْ يَتَجَرَّءَ العَبْدُ الضَّعِيفُ عَلَى المُجَاهَرَةِ بِالمَعَاصِي وَالسَّيِّئَات ..يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَأْبَى إِلَّا فَضْحَ نَفْسِهِ؛ خَاصَّةَ مَعَ ظُهُورِ المَوَاقِعِ الَّتِي تُسَمَّى (بِمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِي) ..فَيُصَوِّرُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَرْتَكِبُ المَعْصِيَةَ ثُمَّ يَنْشُرُهَا عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ بَيْنَ المُعْجَبِينَ وَالمُعْجَبَات - زَعَم - فِي (الفَايْسبُوك، أَوْ التوِيتَر..) لِيَرَاهُ الآلَاف، وَالله المُسْتَعَان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا فُلاَنُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»**[٢].

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ غَفَرَ الله لَهُمْ: « فَيَكُونُ إِهْلَاكُ الجَمِيعِ عِنْدَ ظُهُورِ المُنْكَرِ وَالإِعْلَانِ

---

[١] رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه (٤٠١٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (٧٩٧٨).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٠٦٩)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٩٠).

بِالمَعَاصِي»[١].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِنْ تَأْثِيرِ مَعَاصِي الله فِي الأَرْضِ مَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ الخَسْفِ وَالزَّلَازِلِ وَمَحْقِ بَرَكَتِهَا»[٢].

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ: «يَأْذَنُ الله سُبْحَانَهُ لَهَا فِي [بَعْضِ] الأَحْيَانِ بِالتَنَفُّسِ فَتَحْدُثُ فِيهَا الزَّلَازِلُ العِظَامُ، فَيَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ لِعِبَادِهِ الخَوْف وَالخَشْيَة وَالإِنَابَة وَالإِقْلَاع عَنْ مَعَاصِيهِ وَالتَّضَرُّع إِلَيْهِ وَالنَّدَم، كَمَا قَالَ بَعْض السَّلَفِ وَقَدْ زُلْزِلَتْ الأَرْضُ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَقَدْ زُلْزِلَتْ المَدِينَةُ فَخَطَبَهُمْ وَوَعَظَهُمْ وَقَالَ: لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا»[٣].

إِخْوَانِي فِي الله: قَبْلَ أَيَّام قَلَائِلَ كُنَّا مَعَ حَدَثٍ عَظِيم وَوَاقِعَةٍ جَسِيمَة إِنَّهُ (زِلْزَال) ضَرَبَ مَنْطِقَتَنَا وَارْتَجَّتْ القُلُوبُ قَبْلَ الأَرْضِ، وَاهْتَزَّتْ الأَفْئِدَةُ قَبْلَ اليَابِسَة: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ: ١٠].

لَمَسْنَا وَشَعَرْنَا بِقُدْرَةِ العَزِيزِ الجَبَّار، وَعَظَمَةِ الوَاحِدِ القَهَّار، رَأَيْنَاهَا رَأْيَ العَيْن، وَدَمَعَتْ لِذَلِكَ العَيْن، وَالكُلُّ يُؤَمِّلُ وَيَتَمَنَّى أَنْ تَسْكُنَ وَتَتَوَقَّف، فَإِنَّ الفُؤَادَ قَدْ ارْتَجَف.

عِنْدَمَا يَضْرِبُ الزِّلْزَال..كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَكُونُ عَلَى حَال.. وَلَكِنْ هَلْ كَانَ الوَاحِدُ مِنَّا يَسُرُّهُ أَنْ تُقْبَضَ رُوحُهُ عَلَى تِلْكَ الحَال؟!

---

[١] «شَرْحُ صَحِيح البُخَارِي» (١٠/ ٥٣).

[٢] «الجَوَابُ الكَافِي» (ص٤٣).

[٣] «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَة» (١/ ٢٢١).

فَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ كَانَ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَن، وَمَنْ كَانَ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَان..بَيْنَ مَنْ كَانَ أَمَامَ الْمُسَلْسَلَاتِ الهَابِطَة وَالأَفْلَامِ السَّاقِطَة، وَالأُغْنِيَاتِ المَاجِنَة، وَبَيْنَ مَنْ كَانَ يَتَلَذَّذُ بِالطَّاعَات بِرَكَعَات وَسَجَدَات وَكَلِمَات نَافِعَات..أَبَى أَنْ يَخْتِمَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ إِلَّا بِرِضَا رَبِّ البَرِيَّات ﷻ.

عِبَادَ الله: وَإِنْ تَعْجَب وَحُقَّ لَكَ أَنْ تَعْجَب مِنْ أُنَاسٍ: زُلْزِلَتْ الأَرْضُ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ فَمَا غَيَّرُوا وَلَا تَغَيَّرُوا، مَا انْتَصَحُوا وَمَا صَحَّحُوا، وَمَا تَابُوا وَلَا آبُوا؛ بَلْ بَقُوا عَلَى مَعَاصِيهِمْ، وَالله المُسْتَعَان.

إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّة عَلَى اخْتِلَافِهَا تَسْتَوْجِبُ مِنَّا وَقْفَةَ اعْتِبَار وَادِّكَار لِتَصْحِيح المَسَار فِي طَرِيقِ مَرْضَاةِ العَزِيزِ الغَفَّار، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ].

عَنْ قَتَادَة رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِنْ آيَةٍ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُون، أَوْ يَذَكَّرُون، أَوْ يَرْجِعُون، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الكُوفَةَ رَجَفَتْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ مَسْعُود، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوه»[١].

عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَحْضِر الدُّرُوس.. وَنَسْتَثْمِرَهَا فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوس؛ وَلْنَتَأَمَّلْ فِي بَعْضِهَا:

١/قُدْرَة الله تَعالى: فَهَذِهِ الجِبَالُ مَعَ عُلُوِّهَا، وَالبِحَارُ مَعَ اتِّسَاعِهَا الَّتِي تُدْهِشُ العُقُولَ وَتُحَيِّرُ الأَفْكَار؛ وَلَكِنَّ الَّذِي خَلَقَهَا وَأَوْجَدَهَا قَادِرٌ عَلَى زَحْزَحَتِهَا وَتَغْيِير مَكَانِهَا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ«حَكِيمٌ عَلِيمٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْء، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْء، بَلْ الأَشْيَاء قَدْ دَانَتْ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَاسْتَكَانَتْ

[١] «جَامِعُ البَيَان» (١٧/ ٤٧٨).

لِعَظَمَتِهِ، وَخَضَعَتْ لِجَبَرُوتِه»[١].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ «كَامِلُ القُدْرَةِ: فَبِقُدْرَتِهِ أَوْجَدَ المَوْجُودَات، وَبِقُدْرَتِهِ دَبَّرَهَا، وَبِقُدْرَتِهِ سَوَّاهَا وَأَحْكَمَهَا، وَبِقُدْرَتِهِ يُحْيِي وَيُمِيت..وَلَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يَفُوتُهُ؛ بَلْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ أَيْنَ كَان، الَّذِي سَلِمَتْ قُدْرَتُهُ مِنَ اللُّغُوبِ وَالتَّعَبِ وَالإِعْيَاءِ وَالعَجْزِ عَمَّا يُرِيد، وَلِكَمَالِ قُدْرَتِهِ كُلّ شَيْءٍ طوْع أَمْرِه وَتَحْتَ تَدْبِيرِه، فَمَا شَاءَ كَان وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»[٢].

أَخِي الغَالِي تَأَمَّلْ مَعِي وَتَدَبَّرْ قَوْلَ الله تَعَالَى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ لُقْمَانَ].

أَيْ «مَا خَلْقُ جَمِيعِ النَّاسِ وَبَعْثُهُمْ يَوْمَ المَعَاد بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ إِلَّا كَنِسْبَةِ خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، الجَمِيعُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ وَ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سُورَةُ يسٓ]، ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ القَمَرِ] أَيْ: لَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْء لَا يَحْتَاج إِلَى تَكَرُّرِهِ وَتَوَكّدِه..

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ أَيْ: كَمَا هُوَ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِهِمْ بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ كَقُدْرَتِهِ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ..»[٣].

٢/ لُطْفُ الله بِعِبَادِهِ وَحِلْمُهُ بِهِمْ: لَوْ طَالَ أَوْ دَامَ الزِّلْزَال أَكْثَر مِنْ ذَلِك (وَالله

[١] «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص٧٩).

[٢] «فِقْهُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى» (ص٢٤٥).

[٣] «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيم» (٦/ ٣٤٩).

قَادِرٌ عَلَى ذَلِك) لَجَاءَ عَلَى القُرَى فَهَدَمَهَا، وَالمُدُن فَحطَّمَهَا ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ].

فَهُوَ سُبْحَانُهُ «لَا يَعْجَلُ عَلَى عِبَادِهِ بِعُقُوبَتِهِمْ عَلَى ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، يَرَى عِبَادَهُ وَهُمْ يَكْفُرُون بِهِ وَيَعْصُونَه، وَهُوَ يَحْلُمُ عَلَيْهِمْ؛ فَيُؤَخِّرُ وَيُنْظِرُ وَيُؤَجِّلُ وَلَا يُعَجِّلُ، وَيُوَالِي النِّعَمَ عَلَيْهِمْ مَعَ مَعَاصِيهِمْ وَكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَزَلَّاتِهِمْ، فَيَحْلُمُ عَنْ مُقَابَلَةِ العَاصِين بِعِصْيَانِهِمْ، وَيُمْهِلُهُمْ كَيْ يَتُوبُوا، وَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالعُقُوبَةِ كَيْ يُنِيبُوا وَيَرْجِعُوا»[١].

٣/ هَلَاكُ الأُمَمِ السَّابِقَة: لَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا القُرْآنُ الكَرِيم فِي العَدِيدِ مِنَ المَوَاضِعِ خَبَرَ القَوْمِ السَّابِقِينَ وَحَالَ الأُمَمِ الغَابِرِين وَمَا أَصَابَهَا مِنَ العَذَابِ الأَلِيم لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُل الكِرَام عليهم السلام، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله:«مِنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ تَخْوِيفُ الْعِبَادِ؛ كَمَا يَكُونُ تَخْوِيفُهُمْ فِي سَائِرِ الْآيَاتِ: كَالرِّيَاحِ الشَّدِيدَةِ وَالزَّلَازِلِ وَالْجَدْبِ وَالْأَمْطَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَدْ تَكُونُ عَذَابًا كَمَا عَذَّبَ اللهُ أُمَمًا بِالرِّيحِ وَالصَّيْحَةِ وَالطُّوفَانِ..»[٢].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ].

وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ

[١] «فِقْهُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى» (ص٢٤٥).

[٢] «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (٣٥/ ١٦٩).

أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوت: ٤٠].

وَالمَعَاصِي وَالسَّيِّئَات هِيَ مِنْ مِيرَاثِ هَؤُلَاءِ الأُمَم الَّتِي أَهْلَكَهَا الله «فَاللُّوطِيَّةُ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ لُوط، وَأَخْذُ الحَقِّ بِالزَّائِدِ وَدَفْعُهُ بِالنَّاقِصِ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَالعُلُوُّ فِي الأَرْضِ وَالفَسَادُ مِيرَاثٌ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِ فِرْعَونَ، وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ هُودٍ، فَالعَاصِي لَابِسٌ ثِيَاب بَعْضِ هَذِهِ الأُمَمِ وَهُمْ أَعْدَاءُ الله»[١].

٤/ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الصُّغْرَى: وَهَذِهِ العَلَامَاتُ الَّتِي تَقَعُ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ وُقُوعِ السَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدِ زَمَنِهَا بِالضَّبْطِ، ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَاب].

«وَالحِكْمَةُ فِي تَقْدِيمِ الأَشْرَاط وَدَلَالَةِ النَّاسِ عَلَيْهَا تَنْبِيهُ النَّاسِ عَنْ رَقْدَتِهِمْ وَحَثِّهِمْ عَلَى الاحْتِيَاطِ لِأَنْفُسِهِمْ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ كَيْلَا يُعَافَصُوا بِالحَوْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَدَارُكِ الفَوَارِط مِنْهُمْ، فَيَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَكُونُوا بَعْدَ ظُهُورِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ قَدْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ، وَانْفَطَمُوا عَنْ الدُّنْيَا، وَاسْتَعَدُّوا لِلْسَّاعَةِ المَوْعُودِ بِهَا»[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضُ»[٣].

---

[١] «الجَوَابُ الكَافِي» (ص٣٧).

[٢] «التَّذْكِرَة» (٣/ ١٢١٧).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٠٣٦).

ذَكَرَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الحَدِيثَ تَحْتَ تَبْوِيب: (بَاب مَا قِيلَ فِي الزَّلَازِلِ وَالآيَات).

قَالَ الإِمَامُ ابنُ رَجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا كَثْرَةُ الزَّلَازِلِ، فَهُوَ مَقْصُودُ البُخَارِي فِي هَذَا البَابِ مِنَ الحَدِيثِ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الزَّلَازِلِ المَحْسُوسَة، وَهِيَ ارْتِجَافُ الأَرْضِ وَتَحرُّكُهَا، وَيُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى الزَّلَازِلِ المَعْنَوِيَّةِ، وَهِيَ كَثْرَةُ الفِتَنِ المُزْعِجَةِ المُوجِبَةِ لِارْتِجَافِ القُلُوبِ، وَالأَوَّلُ أَظْهَر؛ لِأَنَّ هَذَا يُغْنِي عَنْهُ ذِكْرُ ظُهُورِ الفِتَنِ»[١].

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: « [وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ] قَدْ وَقَعَ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِلَادِ الشَّمَالِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ كَثِيرٌ مِنَ الزَّلَازِلِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ المُرَادَ بِكَثْرَتِهَا شُمُولُهَا وَدَوَامُهَا»[٢].

٥/ القِيَامَةُ الكُبْرَى: الزِّلْزَالُ الأَعْظَمُ الَّذِي يَكُونُ يَوْمَ القِيَامَة، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

بَلْ أَنْزَلَ الله سُورَةً كَامِلَةً بِاسْمِ ﴿سُورَةُ الزَّلْزَلَة﴾، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن

[١] «فَتْحُ البَارِي» (٦/ ٣٢٣).

[٢] «فَتْحُ البَارِي»«١٣/ ٨٧».

﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

مَوْعِظَةٌ:

«يَا مَنْ عَلَيْهِ مَنَازِلُ المَوْتِ تَدُور، وَهُوَ مُسْتَأْنِسٌ بِالمَنَازِلِ وَالدُّور، لَابُدَّ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ القُصُور عَلَى التَّوَانِي وَالقُصُور...لَوْ تَصَوَّرْتَ النَّفْخَ فِي الصُّور وَالسَّمَاءُ تَتَغَيَّرُ وَتَمُور، وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ وَتَغُور، وَالصِّرَاطُ مَمْدُودٌ وَلَابُدَّ مِنْ عُبُور، وَأَنْتَ مُتَحَيِّرٌ فِي الأُمُور، تَبْكِي عَلَى خِلَافِ المَأْمُور، سَتُحَاسَبُ عَلَى الأَيَّامِ وَالشُّهُور، وَتَرَى مَا فَعَلْتَهُ مِنْ فُجُور فِي النَّهَارِ وَالدَّيْجُور، سَتَحْزَن بَعْدَ السُّرُور عَلَى تِلْكَ الشُّرُور إِذَا وُفِّيَتْ الأُجُور، وَبَانَ المُوَاصَلُ مِنَ المَهْجُور، وَنَجَا المُخْلِصُون دُونَ أَهْلِ الزُّور، تُصَلِّي وَلَكِنْ بِلَا حُضُور، وَتَصُومُ وَالصَّوْمُ بِالغِيبَةِ مَغْمُور..»[١].

نَصِيحَةٌ:

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ العَزِيز بن بَاز رَحِمَهُ اللهُ:«فَالوَاجِبُ عِنْدَ الزَّلَازِلِ وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَات وَالكُسُوف وَالرِّيَاح الشَّدِيدَة وَالفَيَاضَانَات، البِدَار بِالتَّوْبَةِ إِلَى الله سُبْحَانَهُ، وَالضَّرَاعَةُ إِلَيْهِ وَسُؤَالُهُ العَافِيَة، وَالإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِهِ وَاسْتِغْفَارُهُ، كَمَا قَالَ ﷺ عِنْدَ الكُسُوفِ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»، وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا رَحْمَةُ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا»،«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»،وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ».

وَرُوِيَ عَنْ عُمَر بْنِ عَبْدِ العَزِيز رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ إِلَى أُمَرَائِهِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلْزَلَة:

[١] «التَّبْصِرَة» (ص٢٦٨).

أَنْ يَتَصَدَّقُوا»[١].

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

❒❒❒❒❒❒❒



[١] «مَجْمُوعُ فَتَاوِيه»(٩/ ١٥٠).


أَسْبَاب
رَفْعِ عُقُوبَةِ الذُّنُوبِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَاب، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنَ فَضْلِهِ وَكَرَمِه، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه المُخْتَارُ مِنْ أَشْرَفِ الأَنْسَاب، صَلَّى الله وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَاب، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ المَآب.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله.. إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله.

إِنَّ المُسْلِمَ وَهُوَ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الحَيَاة لَابُدَّ لَهُ مِنْ قَارِبِ النَّجَاة فِي ظِلِّ تَلَاطُم أَمْوَاجِ الفِتَن وَهُبُوب رِيَاحِ المِحَن، وَلَا يَكُون هَذا إِلَّا بِالفِرَار إِلَى الله الوَاحِد القَهَّار: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: ٥٠].

فَيَجْنِي العَبْدُ بِذَلِك ثَمَرَاتٍ طَيِّبَة: فِي الدُّنْيا الأَمَان وَالاسْتِقْرَار، وَفِي الآخِرَةِ بِإِذْنِ الله: ﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٥].

لَكِنَّ بَعْضَ إِخْوَانِنَا مِمَّن غَرِقَ فِي بِحَار الشَّهَوَات، وَوَقَعَ فِي المُحَرَّمَات إِذَا نُصِحَ وَذُكِّرَ قَالَ: (جَهَنَّم لِمَنْ انْدَارَتْ) = (لِمَنْ خُلِقَتْ) بِمَعْنَى يَجْزِمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ..

كَلَّا أَخِي الحَبِيب إِنَّهَا لَمْ تُخْلَق لَك (كَمَا تَقُول) فَأَنْتَ مِنَ المُوَحِّدِين.. مِنَ المُسْلِمِين.. إِنَّهَا مَآلُ الكَافِرِين وَالمُشْرِكِين وَالمُنَافِقِين...

فَالْتَحِق بِقَوَافِل العَائِدِين التَّائِبين المُسْتَغْفِرِين، و أَحْسِن الظَنَّ بِأَرْحَمِ الرَّاحِمِين، لِتَكُونَ مِنْ أَهْل جَنَّات رَبِّ العَالَمِين..

هَيَّا إِلَى بَرِّ الأَمَان..إِلَى حَيَاةِ الاسْتِقَامَة وَالإِيمَان..وَتَذَكَّر دَائِمًا وَأَبَدًا أَنَّ رَحْمَة الله وَاسِعَة، قَالَ ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ١٥٦].

فَبَيْنَ يَدَيْك أَسْبَابٌ ذَكَرَهَا شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ عَنْهَا: «دَلَّتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: عَلَى أَنَّ عُقُوبَةَ الذُّنُوبِ تَزُولُ عَنْ الْعَبْدِ بِنَحْوِ عَشَرَةِ أَسْبَابٍ»[١].

وَقَالَ أَيْضًا: «وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ لَهُمْ ذُنُوبًا فَالذُّنُوبُ لَا تُوجِبُ دُخُولَ النَّارِ مُطْلَقًا إلَّا إذَا انْتَفَتْ الْأَسْبَابُ الْمَانِعَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهِيَ عَشْرَةٌ»[٢].

ـ وَذَكَرَهَا كَذَلِكَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَوَاعِق المُرْسَلَة عَلَى الجَهْمِيَّة وَالمُعَطِّلَة» (٢/ ٦٩١).

ـ وَالعَلَّامَةُ ابْنُ أَبِي العِزِّ الحَنَفِي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِهِ لِلْطَّحَاوِيَّة» (ص٢٦٢).

ـ وَالعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن فِي تَفْسِير كَلَام المَنَّان» (ص١٨١) وَغَيْرُهُم.

فَعَزَمْتُ عَلَى تَقْرِيبِ مَعَانِيهَا وَتَوْضِيحِ مَا جَاءَ فِيهَا، عَسَى الله أَنْ يَنْفَعَ بِهَا قَارِئَهَا وَكَاتِبَهَا، وَالله وَلِيُّ التَّوْفِيق.

١/التَّوْبَةُ: «هِيَ الرُّجُوعُ مِمَّا يَكْرَهُهُ الله ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ ظَاهِرًا

[١] «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (٧/ ٤٨٧).

[٢] «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (٤/ ٤٣٢).

وَباطِنا»[١].

وَ« يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ: الاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَان، وَالإِقْلاَعُ بِالأَبْدَان، وَإِضْمَارُ تَرْكِ العَوْدِ بِالجَنَان، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّءِ الإِخْوَان»[٢].

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَر].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سُورَةُ الشُّورَى].

عن أَنَس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** »[٣].

أَمَّا شُرُوطُ التَّوْبَةِ أَخِي التَّائِب، فَيَقُولُ العُلَمَاءُ:« التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لاَ تَتَعلَّقُ بحق آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوطٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

---

[١] « مَدَارِجُ السَّالِكِين» (١/ ٣٦٠).

[٢] « مَدَارِجُ السَّالِكِين» (١/ ٣١٠).

[٣] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٥٤٠)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (١٢٧).

والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبداً»[١].

٢/الاسْتِغْفَارُ: « هُوَ طَلَبُ المَغْفِرَة، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الدُّعَاء وَالسُّؤَال، وَهُوَ مَقْرُونٌ بِالتَّوْبَةِ فِي الغَالِبِ وَمَأْمُورٌ بِهِ؛ لَكِنْ قَدْ يَتُوبُ الإِنْسَان وَلَا يَدْعُو، وَقَدْ يَدْعُو وَلَا يَتُوب»[٢].

«إنَّ للاسْتِغْفَار مَكَانَةً فِي الدِّين عَظِيمَة، وَلِلْمُسْتَغْفِرِين عِنْدَ الله أُجُوراً كَرِيمَة، وَثِمَارُ الاسْتِغْفَار وَنَتَائِجُه الحَمِيدَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة لَا يُحْصِيهَا إِلاَّ الله، وَلِهَذَا كَثُرَت النُّصُوصُ القُرْآنِيَّة وَالأَحَادِيثُ النبويةُ المُرْشِدَةُ إِلَى الاسْتِغْفَار، وَالحَاثَّةُ عَلَيْه، والمُبَيِّنَةُ لِفَضْلِه وَعَظِيمِ أَجْرِه»[٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

عَنْ عَبْدِ الله بن بُسْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **« طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»**[٤].

وَعَنْ بِلَال بن يَسَار بن زَيْد، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه: أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيّ القَيُّوم وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ »**[٥].

---

[١] «رِيَاضُ الصَّالِحِين مِنْ حَدِيث سَيِّدِ المُرْسَلِين» (ص٤٩).
[٢] «مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة»(٦/ ١٣٢).
[٣] «فِقْهُ الأَدْعِيَة وَالأَذْكَار»(٢/ ٥٠٢).
[٤] رَوَاهُ ابْنُ مَاجه (٣٨١٨)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٣٩٣٠).
[٥] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (١٥١٧)، وَالتِّرمِذِي (٣٥٧٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح أَبِي

٣/الحَسَنَاتُ المَاحِيَةُ: قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [سُورَةُ هُودٍ].

«فَهَذِهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْس، وَمَا أُلْحِقَ بِهَا مِنَ التَطَوُّعَات مِنْ أَكْبَرِ الحَسَنَات، وَهِيَ: مَعَ أَنَّهَا حَسَنَاتٌ تُقَرِّبُ إِلَى الله، وَتُوجِبُ الثَّوَاب، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ السَّيِّئَات وَتَمْحُوهَا»[١].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٢].

قَالَ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ عَبْدُ المُحْسِنِ العَبَّاد حَفِظَهُ الله:« قَوْلُه: « وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا »، عِنْدَمَا يَفْعَلُ المَرْءُ سَيِّئَةً فَإِنَّهُ يَتُوبُ مِنْهَا، وَالتَّوْبَةُ حَسَنَة، وَهِيَ تَجِبُّ مَا قَبْلَهَا مِنَ الكَبَائِرِ وَالصَّغَائِر، وَيَكُون أَيْضًا بِفِعْلِ الحَسَنَات، فَإِنَّهَا تَمْحُو الصَّغَائِرِ »[٣].

٤/دُعَاءُ المُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَات: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ

دَاوُد» (١٣٥٨).

[١] «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَن» (ص٣٩١).

[٢] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢١١٥)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٩٧).

[٣] « فَتْحُ القَوِيِّ المَتِين » (ص٦٠).

مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ».

قَالَ: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»[١].

وَقَدْ حَثَّنَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى الاسْتِغْفَارِ لِلْمُؤْمِنِين، وَرُتِّبَ عَلَى ذَلِكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ كَرِيمٌ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَة»[٢].

٥/ مَا يُعْمَلُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ عَمَلِ البِرّ: (أَيْ بَعْدَ مَوْتِهِ): «وَالدَّلِيلُ عَلى انْتِفَاعِ المَيِّتِ بِغَيْرِ مَا تَسَبَّبَ فِيهِ، الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ وَالقِيَاسُ الصَّحِيحِ»[٣].

وَ أَمَّا الأَعْمَالُ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا:

أ/ الدُّعَاءُ وَ الاسْتِغْفَارُ: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ].

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[٤].

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٦٣).

[٢] رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي «مُسْنَدَ الشَّامِيِّين» (٢١٥٥)، وَالهَيْثَمِي فِي «مَجْمَع الزَّوَائِد» (١٧٥٩٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٦٠٢٦).

[٣] «شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة»(ص٣٨٦).

[٤] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٣٢٢٣)، وصحّحه الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٩٤٧).

ب/ **الصَّدَقَةُ**: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟

قَالَ: « نَعَمْ »[١].

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا » «أَيْ: مَاتَتْ فَجْأَةً وأُخِذَتْ نَفْسُها فَلْتَة»[٢].

ج/ **قَضَاءُ الدَّيْنِ**: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ، لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، فَقَالَ:« هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ؟ »

قَالُوا: لاَ.

فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى ، فَقَالَ: « هَلْ عَلَيْهِ مَنْ دَيْنٍ ؟» .

قَالُوا نَعَمْ.

قَالَ « صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ :عَلَيَّ دَيْنُهُ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَصَلَّى عَلَيْهِ»[٣].

د/ **الصَّوْمُ**: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ »[٤].

هـ/ **الحَجُّ وَالعُمْرَةِ**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٨٨)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٠٤).

[٢] « النِّهَايَة فِي غَرِيب الحَدِيث وَالأَثَر» (ص٤٩٩).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٢٢٩٥).

[٤] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٩٥٢)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٤٧).

ﷺ فقالَت: إنَّ أُمِّي نَذَرت أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟

قَال: « **نعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّك دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ** »[١].

تَنْبِيهٌ: « وَأَمَّا اسْتِئْجَارُ قَوْمٍ يَقْرَؤُون القُرْآن وَيَهْدُونَهُ لِلْمَيِّتِ، فَهَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَف، وَلَا أَمَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّين، وَلَا رَخَّصَ فِيه.

وَالاسْتِئْجَارُ عَلَى نَفْسِ التِّلَاوَة غَيْرُ جَائِزٍ بِلَا خِلَافٍ...وَالثَّوَابُ لَا يَصِلُ إِلَى المَيِّتِ إِلَّا إِذَا كَانَ العَمَلُ لله، وَهَذَا لَمْ يَقَعْ عِبَادَةً خَالِصَةً ، فَلَا يَكُونُ لَهُ مِنْ ثَوَابِه مَا يُهْدَى إِلَى المَوْتَى ! ! وَلِهَذَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّهُ يُكْتَرَي مِنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَهْدِي ثَوَاب ذَلِكَ إِلَى المَيِّت»[٢].

٦/ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِه فِي أَهْلِ الذُّنُوبِ يَوْمَ القِيَامَةِ:

الشَّفَاعَةُ: «هِيَ سُؤَالُ الخَيرِ لِلْغَيْرِ أَوْ هِيَ التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ بِجَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّة»[٣].

أ/ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤْلاً - أَوْ قَالَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا - فَاسْتُجِيبَ ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[٤].

---

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٥٢).

[٢] «شَرْحُ العَقِيدَة الطَّحَاوِيَّة» (ص٣٨٩).

[٣] «مُعْجَمُ التَّوْحِيد» (٢/ ٥٠٠).

[٤] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٣٠٥)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٨).

«أَخَّرَ نَبِيُّنَا ﷺ دَعْوَتَهُ لِيَجْعَلَهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ لِفَضْلِ شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ فَجَزَى اللهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا أَفْضَلَ مَا جَزَى رَسُولًا»[١].

وَ شَفَاعَتُهُ ﷺ أَنْوَاعٌ:

١ - الشَّفَاعَةُ العُظْمَى لِفَصْلِ القَضَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

٢ - الشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ.

٣ - الشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامٍ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا.

٤ - الشَّفَاعَةُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ.

٥ - الشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامٍ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

٦ - شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي تَخْفِيفِ العَذَابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ، كَشَفَاعَتِهِ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ عَذَابَهُ.

٧ - شَفَاعَتُهُ ﷺ لِأَنْ يُؤْذَنَ لِجَمِيعِ المُؤْمِنِينَ بِدُخُولِ الجَنَّةِ.

٨ - شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ مِمَّنْ يَدْخُلُ النَّارَ فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا[٢].

ب/ شَفَاعَةُ المَلَائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَ المُؤْمِنِينَ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «.. **فَيَقُولُ اللَّهُ ٥ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي**

[١] «كِتَابُ التَّوْحِيدِ وَإِثْبَاتُ صِفَاتِ الرَّبِّ عز وجل»(٢/ ٦٢٢).

[٢] «شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ»(ص١٧٣).

أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[١].

٧/المَصَائِبُ الَّتِي يُكَفِّرُ الله بِهَا الخَطَايَا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ »[٢].

وعَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ أَنَّهُ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَهَجَّرَ بِالرَّوَاحِ فَلَقِيَ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَالصُّنَابِحِيُّ مَعَهُ فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدَانِ يَرْحَمُكُمَا اللهُ ؟

قَالاَ: نُرِيدُ هَاهُنَا إِلَى أَخٍ لَنَا مَرِيضٍ نَعُودُهُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلاَ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَقَالاَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟

قَالَ: أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةٍ.

فَقَالَ لَهُ شَدَّادٌ: أَبْشِرْ بِكَفَّارَاتِ السَّيِّئَاتِ وَحَطِّ الْخَطَايَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنْ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ وَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ»[٣].

٨/ مَا يَحْصُلُ فِي القَبْرِ مِنَ الفِتْنَةِ وَالضَّغْطَةِ وَالرَّوْعَةِ فَإِنَّ هَذَا مِمَّا يُكَفَّرُ بِهِ الخَطَايَا:

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٣).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٥٦٤١)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٠).

[٣] رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِه» (١٧١١٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَة» (١٦١١).

إِذَا وُضِعَ المَيِّتُ فِي قَبْرِهِ فَإِنَّهُ يُضَمُّ ضَمَّةً لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، صَالِحًا أَوْ طَالِحًا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِياً مِنْهَا نَجا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»[١].

٩/ أَهْوَالُ يَوْمِ القِيَامَةِ وَ كَرْبُهَا وَ شَدَائِدُهَا:

إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ النَّاسَ سُدًا، وَلَمْ يَتْرُكْهُمْ هَمَلًا، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ].

فَيَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ، وَسَيُلَاقِيهِمْ فِي ذَلِكَ اليَوم أَهْوَلًا وَ كَرْبًا وَ شَدَائِدَ، «وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»[٢].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ فِي يَوْمٍ هَائِلٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ تَكْثُرُ فِيهِ الغُمُوم وَتعْظُمُ فِيهِ الهُمُوم، وَيَفْصِلُ الرَّبُّ بَيْنَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَيُّ القَيُّومُ.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ يَوْمَ تَنْدَمُ عَلَى القَبَائِحِ، وَتَتَأَسَّفُ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الفَضَائِحْ، وَتَجِدُ الأَعْمَالَ فِي الصَّحَائِفِ الصَحَائِح..»[٣].

---

[١] رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِه» (٢٥٠١٥)، وَصَحَّحَه الألباني فِي «صَحِيح الجَامِع» (٢١٨٠).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٥٧٣)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٢).

[٣] «بُسْتَانُ الوَاعِظِين وَرِيَاض السَّامِعِين» (ص ٩٣).

١٠/ رَحْمَةُ الله وَ عَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ بِلَا سَبَبٍ مِنَ العِبَاد:

فَإِنَّ الله أَرْحَمُ الرَّاحِمِين، وَ أَحْكَمُ الحَاكِمِين، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ :٤٨].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ كَثِير رَحِمَهُ اللهُ: «فَهَذِه الآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الذُّنُوبِ مَا عَدَا الشِّرْك»[١].

«فَمَنْ تَحَقَّقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ قَلْبُه، أَخْرَجَتْ مِنْهُ كُلَّ مَا سِوَى الله مَحَبَّةً وَتَعْظِيماً وَإِجْلَالاً وَمَهَابَةً، وَخَشْيَةً، وَرَجَاءً وَتَوَكُّلاً، وَحِينَئِذٍ تُحْرَقُ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ كلُّها وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْر، وَرُبَّمَا قَلَبَتْهَا حَسَنَاتٍ»[٢].

وَفِي الخِتَام:

إِلَهِي: إِنَّ ظُلْمَةَ ظُلْمِنَا لِأَنْفُسِنَا قَدْ عَمَّتْ، وَبِحَارُ الغَفْلَةِ عَلَى قُلُوبِنَا قَدْ طَمَّتْ؛ فَالعَجْزُ شَامِلٍ، وَالحَصْرُ حَاصِلْ، وَالتَّسْلِيمُ أَسْلَم، وَأَنْتَ بِالحَالِ أَعْلَم.

اللَّهُمْ اغْفِرْ لَنَا مَا عَلِمْت، وَلَا تَهْتِكْ مَا سَتَرْت.

فَارْحَمْ عَبْدًا غَرَّهُ طُولُ إِمْهَالِكْ، وَأَطْمَعَهُ كَثْرَةُ أَفْضَالِكْ، وَذَلَّ لِعِزِّكَ وَجَلَالِكْ، وَمَدَّ أَكُفَّهُ لِطَلَبِ نَوَالِكْ، وَلَوْلَا هِدَايَتك لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِك»[٣].

وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.



[١] «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيم»(٢/ ٣٨٠).
[٢] «جَامِعُ العُلُوم وَالحِكَم»(ص٣٩٨).
[٣] مِنْ خَاتِمَة «فَتْح البَارِي» (١٣/ ٦٦١) بِتَصَرُّفٍ يَسِير.


مَاذَا تَعْرِفُ عَنْ
فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله القَائِل: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١﴾ [سُورَةُ القَمَرِ]، وَالحَمْدُ لله الَّذِي أَحَاطَ بِحَوَادِثِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة خَبْرًا، وَجعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَأَسْبَلَ عَلَى الخَلَائِقِ رِعَايَتَهُ سِتْرًا.

أَحْمَدُهُ عَلَى نَعْمَائِهِ شُكْرًا، وَأُسَلِّمُ لِقَضَائِهِ صَبْرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أُعِدُّهَا لِيَوْمِ القِيَامَةِ ذُخْرًا، وَأَسْتَمِدُّهَا عَلَى الأَعْدَاءِ نَصْرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى البَرِيَّةِ عُذْرًا وَنُذْرًا، فَدَعَا إِلَى الله سِرًّا وَجَهْرًا، وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ عَلَى العَالَمِينَ نَشْرًا، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَدِمْ لَهُمْ أَجْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي الله..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي الله:

عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَتَّى تَتْرُكَ الأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ**»[١].

وَلَقَدْ صَدَقَ هَذَا الخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ عَلَى أَئِمَّةِ المَسَاجِدِ، فَتَرَكُوا ذِكْرَ الدَّجَّالِ عَلَى المَنَابِرِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ الله؛ فَكَيْفَ بِعَامَّتِهِمْ؟!

بَلْ صَارَ بَعْضُ النَّاسِ ـ هَدَانَا الله وَإِيَّاهُمْ ـ إِذَا كَلَّمْتَهُ وَحَدَّثْتَهُ عَنْ المَوْتِ، وَيَوْمِ

[١] رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِه» (١٦٦٦٧)، وَانْظُرْ: «قِصَّة المَسِيح الدَّجَّال» (ص٣٠) لِلْعَلَّامَةِ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ.

القِيامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ انْزَعجَ وَأَوْقَفَكَ؛ وَقَالَ المِسْكِينُ: غَيِّرِ المَوْضُوعِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ؛ وَفِي المُقَابِلِ فَإِنَّ هَذِهِ المَوَاضِيعَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ تُثَارَ وَتُذْكَرَ فِي مَجَالِسِنَا حَتَّى تَلِينَ القُلُوبُ، فَتَتُوبَ لِعَلَّامِ الغُيُوبِ ﷻ.

ولَقَدْ كَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَذَاكَرُونَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ.

فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: « مَا تَذَاكَرُونَ؟ ».

قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ».

فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[١].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: وَإِنَّ الفِتَنَ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَنَوُّعِهَا فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ إِلَّا أَنَّ أَعْظَمَ فِتْنَةٍ عَلَى الإِطْلَاقِ وَأَكْبَرَهَا بِاتِّفَاقٍ هِيَ فِتْنَةُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ »، وَفِي رِوَايَةٍ: « أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ »[٢].

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ حَذَّرُوا أَقْوَامَهُمْ مِنْ هَذِهِ الفِتْنَةِ العَظِيمَةِ؛ وَلَكِنَّ رَسُولَنَا ﷺ كَانَ أَكْثَرَ تَحْذِيرًا لِأُمَّتِهِ مِنْهُ.

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٠١).

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٦).

فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[١].

١/سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ: (المَسِيح الدَّجَّال):

المَسِيحُ «فَسُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ عَيْنَهُ الوَاحِدَةَ مَمْسُوحَةٌ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ مَمْسُوحُ الوَجْهِ، وَمَسِيحٌ وَهُوَ أَلاَّ يَبْقَى عَلَى أَحِدِ شِقَّيْ وَجْهِهِ عَيْنٌ وَلَا حَاجِبٌ إِلاَّ اسْتَوَى، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَمْسَحُ الأَرْضَ: أَيْ يَقْطَعُهَا».

الدَّجَّالُ:«وَ(فَعَّال) مِنْ أَبْنِيَةِ المُبَالَغَةِ: أَيْ يَكْثُرُ مِنْهُ الكَذِبُ وَالتَّلْبِيسُ»[٢].

٢/مَكَانُ خُرُوجِهِ وَلُبْثُهُ فِي الأَرْضِ:

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ..»[٣].

وَلَكِنَّ ظُهُورَ أَمْرِهِ لِلْمُسْلِمِينَ يَكُونُ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى مَكَانٍ بَيْنَ العِرَاقِ وَالشَّامِ، قال ﷺ:«إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ،

---

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٣٣٣٧)، و رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٠).

[٢] «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَر» (ص١١٣٤)، و(ص٤١٥).

[٣] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٢٣٧)، وَابْنُ مَاجَه (٤٠٧٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَة» (١٥٩١).

وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ[١]؟ قَالَ: «**لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»[٢].

٣/فِتْنَةُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ:

«فِي قِصَّةِ الدَّجَّالِ حُجَّةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الحَقِّ فِي صِحَّةِ وُجُودِهِ، وَأَنَّهُ شَخْصٌ بِعَيْنِهِ ابْتَلَى اللهُ بِهِ عِبَادَهُ وَأَقْدَرَهُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْ مَقْدُورَاتِ اللهِ تَعَالَى مِنْ إِحْيَاءِ المَيِّتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ وَمِنْ ظُهُورِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالخَصْبِ مَعَهُ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ وَنَهْرَيْهِ، وَاتِّبَاعِ كُنُوزِ الأَرْضِ لَهُ، وَأَمْرِهِ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَالأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتَنْبُتُ، فَيَقَعُ كُلُّ ذَلِكَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ ثُمَّ يُعْجِزُهُ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى قَتْلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَلَا غَيْرِهِ، وَيَبْطُلُ أَمْرُهُ وَيَقْتُلُهُ عِيسَى ﷺ، وَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجَمِيعِ المُحَدِّثِينَ وَالفُقَهَاءِ وَالنُّظَّارِ»[٣].

أ/مِنْ عِظَمِ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ نَارًا وَجَنَّةً:

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ؛ فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ**

[١] **وَهُنَا وَقْفَةٌ عِبَادَ الله**: انْظُرُوا إِلَى حَالِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِمْ لِلصَّلَاةِ؛ فَمَعَ شِدَّةِ الظُّرُوفِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَتَأْدِيَتِهَا؛ لِأَنَّهُمْ عَقِلُوا عِظَمَ هَذِهِ العِبَادَةِ وَفَضْلَهَا وَمَنْزِلَتَهَا فِي الإِسْلَامِ، فَلْنُحَاسِبْ أَنْفُسَنَا مَعَ هَذِهِ الصَّلَاةِ (صِفَتِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا)؛ بَلْ إِنَّ البَعْضَ مِنَّا قَدْ يُؤَخِّرُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِلَا عُذْرٍ وَهُوَ لَا يُبَالِي، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧).

[٣] «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى مُسْلِمٍ» (١٨/ ٥٨).

أَحدٌ فَلْيأْتِ النَّهرَ الَّذي يَراه نارًا وَلْيُغمِّضْ ثُمَّ لْيُطأْطِئْ رَأْسهُ فَيشْرَب مِنْه فَإِنَّهُ ماءٌ بَارِدٌ»[١].

ب/وَمِنْ أَعْمَالِهِ الَّتِي يَفْتِنُ النَّاسَ بِهَا:

وَذَلِكَ بِاسْتِعَانَتِهِ بِالشَّيَاطِين، فَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي خِدْمَةِ أَهْلِ الإِفْكِ وَالضَّلَال، وَالعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ الله.

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولَانِ يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ»[٢].

الله أكبر! إِنَّهَا فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ عَظِيمَةٌ وَلِهَذَا أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهْوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»[٣].

ج/وَمِنْ فِتْنَتِهِ اسْتِجَابَةُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لِأَمْرِهِ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ؛ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٤).

[٢] رَوَاهُ ابْنُ مَاجه (٤٠٧٧)، وَقَالَ الأَلْبَانِي عَنْ الحَدِيثِ بِطُولِهِ: (غَالِبُهُ صَحِيح) فِي «قِصَّةِ المَسِيحِ الدَّجَّال» (ص٤٩).

[٣] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٣١٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٦٣٠١).

عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ»[١].

د/وَمِنْ فِتْنَتِهِ قَتْلُهُ وَإِحْيَاؤُهُ لِذَلِكَ العَبْدِ المُؤْمِن:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ - قَالَ - فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[٢].

٤/وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي صِفَتِهِ الخَلْقِيَّةِ:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لاَ تَعْقِلُوا؛ إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلاَ جَحْرَاءَ؛ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[٣].

«الفَحَج: تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الفَخِذَين»[٤].

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧).

[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٨٨٢)، و رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٨).

[٣] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٣٢٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِعِ» (**٢٤٥٩**).

[٤] «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَر» (١١٣٤).

«وَهُوَ مِنَ الشَّعْرِ خِلَافُ السَّبْطِ أَوِ الْقَصِيرِ مِنْهُ»[١].

وَجَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢٩٣٧)؛ أَنَّهُ: «**شَابٌّ قَطَطٌ**»:« أَيْ شَدِيدُ جُعُودَةِ الشَّعْرِ مُبَاعِدٌ لِلْجُعُودَةِ الْمَحْبُوبَةِ»[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعرِ يَنْطُفُ - أَوْ يُهرَاقُ - رَأْسُهُ مَاءً قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ**»، (رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ)[٣].

وَهُنَاكَ عَلَامَةٌ يَعْرِفُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ الدَّجَّالَ دُونَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ طَمَسَ اللهُ بَصَائِرَهُمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُون، وَهَذِهِ العَلَامَةُ هِيَ كِتَابَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَصُّهَا (ك ف ر) أَوْ (كافر) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ** »[٤]، ثُمَّ تَهَجَّاهَا (ك ف ر).

قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّجَّالَ وَصْفًا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ لِذِي لُبٍّ إِشْكَال، وَتِلْكَ الأَوْصَافُ كُلُّهَا ذَمِيمَة، تَبِينُ لِكُلِّ ذِي حَاسَّةٍ سَلِيمَة، لَكِنْ مَنْ قَضَى اللهُ عَلَيْهِ بِالشَّقَاوَة، تَبِعَ الدَّجَالَ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الكَذِبِ وَالغَبَاوَة، وَحُرِمَ اتِّبَاعَ الحَقِّ وَنُورَ التِّلَاوَةِ»[٥].

---

[١] «عَوْنُ المَعْبُود» (١١/ ٢٩٨).

[٢] «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى مُسْلِم» (١٨/ ٦٥).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١٢٨)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧١).

[٤] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧١٣١)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٣).

[٥] «التَّذْكِرَةُ بِأَحْوَالِ المَوْتَى وَأُمُورِ الآخِرَة» (٣/ ١٢٧٩).

«وَإِنَّمَا يَدَّعِي الإِلَهِيَّةَ وَهُوَ فِي نَفْسِ دَعْوَاهُ مُكَذِّبٌ لَهَا بِصُورَةِ حَالِهِ وَوُجُودِ دَلَائِلِ الحُدُوثِ فِيهِ وَنُقْصِ صُورَتِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ إِزَالَةِ العَوَرِ الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ وَعَنْ إِزَالَةِ الشَّاهِدِ بِكُفْرِهِ المَكْتُوبِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلِهَذِهِ الدَّلَائِلِ وَغَيْرِهَا لَا يَغْتَرُّ بِهِ إِلَّا رُعَاعٌ مِنَ النَّاسِ لِسَدِّ الحَاجَةِ وَالفَاقَةِ رَغْبَةً فِي سَدِّ الرَمَقِ أَوْ تَقِيَّةً وَخَوْفًا مِنْ أَذَاه؛ لِأَنَّ فِتْنَتَهُ عَظِيمَةٌ جِدًّا تُدْهِشُ العُقُولَ وَتُحَيِّرُ الأَلْبَابَ مَعَ سُرْعَةِ مُرُورِهِ فِي الأَمْرِ فَلَا يَمْكُثُ بِحَيْثُ يَتَأَمَّلُ الضُّعَفَاءُ حَالَهُ وَدَلَائِلَ الحُدُوثِ فِيهِ وَالنَّقْصَ فَيُصَدِّقُهُ مَنْ صَدَّقَهُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ، وَلِهَذَا حَذَّرَتْ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين مِنْ فِتْنَتِهِ وَنَبَّهُوا عَلَى نَقْصِهِ وَدَلَائِلِ إِبْطَالِهِن وَأَمَّا أَهْلُ التَّوْفِيقِ فَلَا يَغْتَرُّونَ بِهِ وَلَا يُخْدَعُونَ لِمَا مَعَهُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الدَّلَائِلِ المُكَذِّبَةِ لَهُ مَعَ مَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ العِلْمِ بِحَالِهِ، وَلِهَذَا يَقُولُ لَهُ الَّذِي يَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ: (مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً)»[١].

٥/هَلَاكُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ وَالقَضَاءُ عَلَى فِتْنَتِه:

تَكُونُ نِهَايَةُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ عَلَى يَدِ المَسِيحِ عِيسَى عليه السلام بَعْدَ نُزُولِهِ كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **«فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»**[٢].

٦/مَا يُعْصَمُ بِهِ مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ:

إِخْوَانِي فِي الله: وَإِنَّ مِنْ عَظَمَةِ هَذَا الدِّينِ وَرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ فَقَدْ جَاءَ

[١] «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى مُسْلِم» (١٨/ ٥٩).

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٩٧).

عَلَى لِسَانِ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِين.

أ/التَّسَلُّحُ بِسِلَاحِ الإِيمَانِ بالله تعَالَى:

«وَمَعْرِفَتُهُ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ.

فَقَدْ تَرَكَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ العِلْمِ بِالدَّجَّالِ مَا يَكْشِفُ البَصِيرَةَ وَيُزِيلُ الغُمَّةَ، فَالدَّجَّالُ جِسْمٌ مَرْئِيٌّ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَالله ﷻ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَبْصَارِهِمْ مِنَّةً مِنْهُ وَفَضْلًا»[١].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ لَمْ يُنَوِّرْ اللهُ قَلْبَهُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ لَمْ يَعْرِفْ طَرِيقَ الْمُحِقِّ مِنْ الْمُبْطِلِ؛ وَالْتَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَالْحَالُ»[٢].

ب/سُكْنَى مَكَّة المُكَرَّمَة أَوْ المَدِينَة النَّبَوِيَّة:

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ، يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»[٣].

قَالَ العَلَّامَةُ الأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ البِلَادَ المُقَدَّسَةَ إِنَّمَا جَعَلَهَا الله عِصْمَةً مِنَ الدَّجَّالِ لِمَنْ سَكَنَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ مُلْتَزِمٌ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ تُجَاهَ رَبِّهَا، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ اسْتِطَانِهَا وَهُوَ بَعِيدٌ فِي حَيَاتِهِ عَنْ التَّأَدُّبِ بِآدَابِ المُؤْمِنِ فِيهَا

---

[١] «الرَّقَائِق» (ص١٤٧).

[٢] «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى» (٣/ ١٧٢).

[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٧٥٧٧)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٣).

فَمِمَّا لَا يَجْعَلُهُ فِي عِصْمَةٍ مِنْهُ..فَالعِبْرَةُ إِذَنْ بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ»[١].

ج/حِفظُ عَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ (سُورَةُ الْكَهْفِ):

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **« مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةُ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ »**[٢].

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ الحِكْمَةَ فِي حِفْظِهَا فَقَالَ:**« فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ »**[٣].

وَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى قِرَاءَةِ سُورَةُ الْكَهْفِ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَة، وَحَرِيٌّ بِمَنْ قَرَأَهَا فِي هَذَا اليَوْمِ وَوَاظَبَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَحْفَظَهَا أَوْ يَحْفَظَ آيَاتٍ مِنْهَا بِإِذْنِ الله: فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَرَأَ سُورَةُ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الجُمُعَة أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ»**[٤].

د/وَمِمَّا يَعْصِمُ مِنَ الدَّجَّالِ بِإِذْنِ الله كَثْرَةُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ فِتْنَتِهِ:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«.. تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ »**، قَالُوا: **(نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)**[٥].

---

[١] «قِصَّةُ المَسِيحِ الدَّجَّال» (ص٣٤).

[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٠٩).

[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧).

[٤] رَوَاهُ النَّسَائِي فِي «سُنَنِه الكُبْرَى» (١٠٧٨٨)، وَالبَيْهَقِي فِي «شُعَب الإِيمَان» (٢٤٤٤)، وَالحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٣٣٩٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (٧٣٦).

[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٨٦٧).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ »[١].

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ» لِأَهَمِيَّتِهِ؛ بَلْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ إِلَى وُجُوبِهِ، أَمَّا الجُمْهُورُ فَعَلَى اسْتِحْبَابِهِ.

قَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: «لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا قَوْلَان: الأَوَّلُ الوُجُوبُ، وَالثَّانِي الاسْتِحْبَابُ، وَالقَوْلُ بِالوُجُوبِ قَوْلٌ قَوِيٌّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِهِ، وَلِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ عِظَامٌ، يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ تَعَالَى بِعِصْمَتِهِ مِنْهَا.

وَلِهَذَا أَمَرَ طَاوُوسُ وَهُوَ أَحَدُ التَّابِعِينَ ابْنَهُ لَمَّا صَلَّى، وَلَمْ يَسْتَعِذْ مِنْ هَذِهِ الأَرْبَعِ، أَمَرَهُ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ، وَأَنَّ مَنْ تَعَمَّدَ تَرْكَهَا بَطَلَتْ صَلَاتُهُ، وَلَابُدَّ مِنَ الإِعَادَةِ..»[٢].

وَفِي الخِتَام:

فَهَذَا بَيَانٌ مُخْتَصَرٌ لِهَذِهِ الفِتْنَةِ العَظِيمَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، أَحْبَبْتُ أَنْ أُذَكِّرَ إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي؛ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ].

عَسَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاهُمْ لِلْعِلْمِ النَّافِعِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَمَا كَانَ مِنْ صَوَابٍ فَهُوَ مِنَ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَإٍ فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

---

[١] رَوَاهُ البُخَارِيُّ (١٣٧٧)، وَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٨٨).

[٢] «شَرْحُ عُمْدَةِ الأَحْكَام» (٢/ ٢١٢).

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِنا خَطَايَانَا وَجَهْلَنا وَإِسْرَافَنا فِي أَمْرِنا وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِنَا جِدِّنَا وَهَزْلَنَا، وَخَطَأَنَا وَعَمْدَنَا، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدَنَا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

وَصَلَّى الله وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.









فهرس المحتويات



تم الصف والإخراج الفني

بمكتب لوصيف للتصميم والإشهار

الزقم - ح.ع.ك - وادي سوف - الجزائر

00213 (0) 559 33 27 13

hajizgoum@yahoo.com